



موضوعات التعظيم الشخصي للأنبياء (عليهم السلام) في القرآن الكريم دراسة تفسيرية موضوعية

الدكتور

محسن كامل الخزاعي
جامعة الكفيل / قسم القانون

توطئة

يُعَدُّ التعظيم شأنًا إلهيًا، ذلك بأنَّ الله تعالى بوصفه الإله الأوحد، والخالق المطلق يحقُّ له التعظيم والاحلال على وجه الاطلاق، بل إنَّ تعظيمه تعالى أساس الفلاح ومركز العقيدة والنجاح، فمن عَظَّم ربه فقد عَظَّم دينه، ومن عَظَّم دينه فقد عرف عظمة القائمين عليه من رسل وأنبياء وأوصياء، لذا عُدَّ هذا المبدأ أساساً مهماً تقوم عليه عقيدة التوحيد الحققة، فهو شرط من شروط الإيفاء بصحة الاعتقاد بالله سبحانه. وإذا كانت هذه الصفة من خصوصيات

الذات الإلهية، وشأنًا من شؤونها فإنَّ التساؤل الذي ينبثق في ذهن الباحث هو: أيجوز أن يكون ثمة تعظيم للإنسان، بحكم أنَّ بعض الصفات الإلهية يجوز إجراؤها على غيره تعالى، وبناءً على هذا التساؤل العام انقدحت في نفس الباحث جملة من الفرضيات والتساؤلات التي يروم التحقق منها في هذا السعي العلمي، وتلك الفرضيات هي:

١. إذا كانت بعض الصفات الإلهية مشتركة بين الذات الإلهية وغيرها من المخلوقات، فهل صفة العظمة منها، وهل يصح إجراؤها على غيره تعالى.

٢. إذا كان الإعظام شأنًا إلهيًا بوصفه الخالق المطلق الذي يحق له التعظيم والاحلال، فهل يعدُّ التعظيم لغيره تعالى شركًا، وهل هو عبادة للمعظم، وما هو الفرق بينه وبين العبادة.

٣. إذا كان ثمة تعظيم للإنسان فما مضمون هذا التعظيم وما شأنه بإزاء تعظيم الله سبحانه وتعالى.

٤. ثمَّ يتساءل الباحث هل يوجد ثمة تعظيم للأنبياء (عليه السلام) في النص القرآني صادرًا عن الله سبحانه وتعالى، بوصفهم الأقرب مكانةً من الله تعالى، وإذا كانت الحال هذه فهل يؤسس ذلك إلى مشروعية التعظيم لغيرهم.

٥. إذا سلمنا بتعظيم الأنبياء (عليه السلام) من الله تعالى فإنَّ الباحث يتساءل فيقول: ما داعي هذا التعظيم، وما موضوعاته في النص القرآني.

وللإيفاء بهذه الفرضيات والتساؤلات العلمية التي تقوم عليها هذه الدراسة سيحاول هذا الجهد العلمي الاجابة عنها استيفاءً لها ومن الله التوفيق.

ملخص بحث

تعدُّ مسألة التوقير والتبجيل والاعظام من الممارسات الفطرية التي تسالم الناس على ممارستها، إذ لم ينتظر أيُّ من عقلاء المجتمعات الانسانية صدور الأمر الإلهي لممارسة مظاهر الاعظام والتقدير والاحترام بإزاء كبار الشخصيات، لذا فإنَّ هذا البحث يهدف إلى تسليط الأضواء على موضوعات التعظيم الشخصي للأنبياء

وموضوعات التعظيم بالتزام أدب المحاوره والتخاطب مع النبي، التي توزعت على موضوعات عدَّة مثل: عدم التقدم عليه بالقول والحكم، وعدم رفع الصوت بحضرته، وعدم مناداته باسمه، وتقيم الصدقة بين يدي مناجاته، وما إلى ذلك. وموضوعات الاطراء والمديح، وذكر صفات الجمال والكمال لدى لآنباء بهدف تشخيص القدوة المثلى، والمثل الأعلى الذي يحتذي به الآخرون، فهذه الموضوعات تعدُّ من الموضوعات العقائدية المهمة، إذ جعل البارى مصير الملائكة مرهونًا بإعظامهم لآدم، وجعل اعمال الأمة مرهونةً بالتزام أدب التخاطب مع النبي محمد (ص).

التمهيد

(مفهوم التعظيم وأثره في الشرك)

أولاً: معنى التعظيم في اللغة:

التعظيم في عُرف علماء المعجم العربي مشتقة من (عَظُمَ)، قال ابن فارس: «العين والظاء والميم أصل واحد صحيح يدل على كبر وقوة، فالعَظُمُ مصدر الشيء العظيم، تقول عَظُمَ يَعْظُمُ عَظْمًا وَعَظْمَتُهُ أَنَا، فإذا عَظُمَ في عينك قلت أَعْظَمْتُهُ واستَعْظَمْتُهُ، ومعظم الشيء أكثره»^(١).

والعظيمة النازلة والمُلمة الشديدة^(٢)، فيقال لكل نازلة وملمة شديدة أنها نازلة عظيمة ومُلمة عظيمة، قال عسّس بن سلامة^(٣)، وهو يصف هول القبر وشِدَّتَه ومحتته:

إِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ

وإِلَّا فَإِنِّي لَا أَخَالِكَ نَاجِيًا

والعَظُمُ وصف للذات الإلهية، يقول ابن منظور: «عَظُمَ: مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَيُسَبِّحُ الْعَبْدُ رَبَّهُ فيقول: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، الْعَظِيمُ: الَّذِي جَاوَزَ قُدْرَهُ وَجَلَّ عَنْ حُدُودِ الْعُقُولِ حَتَّى لَا تُتَصَوَّرَ الْإِحَاطَةُ بِكُنْهِهِ وَحَقِيقَتِهِ»^(٤)، وفي هذا المعنى قال رسول الله ﷺ: «أَمَّا الرُّكُوعُ فَعِظْمُوهَا فِيهِ الرَّبُّ وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ»^(٥)، أي اجعلوه في أنفُسِكُم ذَا عَظْمَةٍ.

وكما ان هذه الصفة تطلق على الله تعالى ذكره فإنها تطلق على غيره، فيقال: الله العزيز العظيم أو الحكيم، ويقال فلان عزيز حكيم أو كريم، ومن هذا قوله تعالى على

لسان امرأة العزيز: ﴿قَالَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾^(٦)، فَعَبَّرَ عن الوزير بالعزيز، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾^(٧)، فعبّر هنا عن العرش بأنه عظيم إذ وصفه تعالى بالعظمة.

والحاصل أنَّ هذه الصفة تقع مشتركة بين الباري جل جلاله من جهة، وبعض مخلوقاته وغيرها من الاجسام من جهة أخرى، لذا قال ابن منظور: «والعَظُمُ في صِفَاتِ الْأَجْسَامِ: كَبُرُ الطَّوْلِ وَالْعَرْضِ وَالْعُمُقِ»^(٨)، إِلَّا إِنْ عَظَمَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَا تُكَيَّفُ وَلَا تُحَدُّ وَلَا تُثَمَّلُ بشيء، فله تعالى الوصف الأكمل، ولغيره ما دون ذلك بمراتب.

والعَظُمُ: خِلَافُ الصَّغَرِ، عَظُمَ يَعْظُمُ عَظْمًا وَعَظَامَةً: كَبُرَ، وَهُوَ عَظِيمٌ وَعُظَامٌ، وَعَظُمَ الْأَمْرُ: كَبُرَ، وَأَعْظَمَهُ وَاسْتَعْظَمَهُ: رَأَاهُ عَظِيمًا، وَتَعَاظَمَهُ: عَظُمَ عَلَيْهِ، وَأَمْرٌ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ: لَا يَعْظُمُ بِالإِضَافَةِ إِلَيْهِ، وَسَيْلٌ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ كَذَلِكَ، وَأَصَابْنَا مَطَرٌ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ، أَي لَا يَعْظُمُ عَنْدهُ شَيْءٌ، لَذَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «يَا عِيسَى تَبِ إِلَيَّ فَإِنِّي لَا يَتَعَاظَمُنِي ذَنْبٌ أَنْ أَغْفِرَهُ وَأَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»^(٩) أَي لَا يَعْظُمُ عَلَيَّ وَعِنْدِي.

فيتحصل أن التعظيم يقابل التصغير والتحقير، لذا وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى عَذَابَ النَّارِ فقال عنها: ﴿...عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١٠)، وَوَصَفَ كَيْدَ النِّسَاءِ فقال: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾^(١١)،^(١٢).

ومن هذا المنطلق يمكن وصف الإنسان

بأنه عظيم فيقال: رجلٌ عَظِيمٌ في المَجْدِ والرَّأيِ على المَثَلِ، وقد نَعَظَمَ واستَعَظَمَ، ولفلان عَظْمَةٌ عندَ النَّاسِ أي حُرْمَةٌ يُعَظَّمُ لَهَا، وله مَعَاظِمٌ مثله؛ وقال مُرْقَشٌ: (١٣)

فَنَحْنُ أَخْوَالُكَ عَمْرُكَ وَالْخَالُ لَهُ مَعَاظِمٌ وَحَرَمٌ

والتَّعْظِيمُ: التَّبْجِيلُ، لذا يقال: عَظَمَاتُ الْقَوْمِ أي سَادَتُهُمْ وذو شَرَفِهِمْ (١٤)، وَعُظْمُ الشَّيْءِ وَمُعْظَمُهُ: جُلُّهُ وَأَكْثَرُهُ، وَعُظْمُ الشَّيْءِ: أَكْبَرُهُ (١٥).

ثانياً: مفهوم التعظيم في الاصطلاح:

انطلاقاً مما تقدم يمكن القول إنّ معنى التعظيم هو «التبجيل» (١٦)، والإجلال والمبالغة بتقدير المعظم وإظهاره بنحو يتميز من غيره بمزايا عديدة، والعظيم: «هو الذي جاوز قدره وجلّ عن حدود العقول حتى لا يتصور الإحاطة بكنهه وحقيقته» (١٧)، وهنا وصفٌ للذات الإلهية المقدسة، إلّا أنّه يمكن القول إنّ لفلان عظمة عند الناس؛ أي إنّ له حرمة يُعَظَّمُ لها.

والعظيم يطلق على معنيين: «أحدهما: «عظم الاجسام وكثرة اجرامها والثاني بمعنى العلو والقدر ورفع المنزلة، فيستعمل للمحسوس والمعقول، تقول العرب مَنْ عَظِيمٌ بني فلان، أي مَنْ له الرياسة منهم» (١٨)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (١٩)، ومنه أيضاً قوله سبحانه: ﴿... وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾

(٢٠)، فالعظيم هو: «المهيّب المهور؛ لأنه المتناهي في الشرف» (٢١).

وعليه يمكن تعريف التعظيم بأنّه: التبجيل المأخوذ من علو الصفة وسموها، بغض النظر عن طبيعة تلك الصفة، فما دامت ذات مكانة كبيرة فإنّه من الواجب تعظيمها، والعظمة صفة من صفات الله تعالى، وقد وردت هذه الصفة تسع مرات في القرآن الكريم، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتُودُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (٢٢)، وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٢٣)، وقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٢٤)، ومنه كذلك قوله جلّ من قائل: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (٢٥).

ولا خلاف في إجراء هذه الصفة على العبد وعلى غيره، فالله تعالى وصف نفسه بالعظمة، ووصف عرشه بالعظمة، ووصف عرش بلقيس بالعظمة، بل إنّ وصف الكباش الذي فدى به اسماعيل بالعظمة في قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (٢٦)، كما انه لا خلاف يذكر في إجراء هذه الصفة على بعض عباد، فعظيم القوم إنما يكون مالك أمورهم الذي لا يقدرّون على مقاومته ومخالفة أموره (٢٧).

ثالثاً: التعظيم الشخصي وأثره في الشرك: يتطرّف بعضُ الناس في فهم حقيقة التَّعْظِيم فيصورها بأنّها من الغلو والهالة الصنمية والفرعونية، ومن ثمّ فهي نوع من انواع العبادة لشخص المعظم، من قبيل الاعتقاد بعصمة الأنبياء (ع)، وتقبيل اليد، والانحناء،

شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٥﴾، قال الألوسي: «واستدل الشيعة ومن يحذو حذوهم بالآية على مشروعية تعظيم قبور الأئمة وسائر الصالحين بإيقاد السرج عليها وتعلق مصنوعات الذهب والفضة ونحو ذلك مما فاقوا به عبدة الأصنام» (٣٦)، أما صاحب كتاب «فتح المجيد» فقد قال ما يقترب من هذا مضموناً، إذ عدّ ما يحصل في بعض مشاهد المعصومين يفوق عبادة اللات والعزى (٣٧)، وفي هوامشه على الكتاب المذكور قال محمد حامد الفقي: «الذكريات التي ملأت البلاد باسم الأولياء هي نوع من العبادة لهم وتعظيمهم» (٣٨)، وما إلى ذلك من الممارسات التي تندرج تحت مفهوم الشرك بحسب فهم هؤلاء، متناسين «أنّ الشرك عبارة عن الاعتقاد باستقلال شيء في التأثير بمعنى أن يكون أثره مستنداً إليه لا إلى خالقه وبارئه» (٣٩). لكنّ ما يثير العجب أن أصحاب هذا الاتجاه يبالغون في تعظيم أمرائهم بأعلى درجات التوقير والاحترام الذي يفوق ما يفعله غيرهم تجاه أولياء الله ولا يكون ذلك شركاً من وجهة نظرهم، غير أنّهم ينتقدون غيرهم حينما يعظمون من يستحق التعظيم (٤٠)، ذلك بأنّ الله تعالى «خلق بين الخلق عظمة يعظم بها بعضهم بعضاً، فمن الناس من يعظم لمال، ومنهم من يعظم لفضل، ومنهم من يعظم لعلم، ومنهم من يعظم لسلطان، ومنهم من يعظم لجاه، وكل واحد من الخلق إنما يعظم بمعنى دون معنى» (٤١)، بناءً على تحقّق جميع الأمور

والتدلل، والخشوع، والوقوف امام قبورهم بآداب خاصة، واقامة المجالس والمحافل تخليداً لذكرياتهم، فكل ذلك يؤدي إلى الوقوع في الشرك من ناحية، وازهارهم فوق مستوى البشر من ناحية أخرى (٢٨)، وهو ما يظهره ابن تيمية في تحريم الاحتفاء بمولد النبي ﷺ بقوله: «إنّ اتخاذاً هذا اليوم عيداً محدثاً لا أصل له... وإنّما يفعل مثل هذا النصارى الذين يتخذون أمثال أيام حوادث عيسى عليه السلام أعياداً، أو اليهود» (٢٩)، ولنا أن نسأل هؤلاء كيف عدّ يوم نزول المائدة السماوية على بني اسرائيل عيداً وآية، في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (٣٠)، ولا يتخذ يوم ميلاد النبي ﷺ، ويوم بعثته عيداً وآية.

وقال ابن القيم: «نهى رسول الله عن اتخاذا القبور مساجد، وإيقاد السرج، واشتدّ نهيه في ذلك حتّى لعن فاعله، ونهى عن الصلاة إلى القبور، ونهى أن يتخذوا عيداً...» (٣١)، أمّا ابن حجر الهيتمي فعّد الكبائر وعدّها منها: «اتخاذا القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها، واتخاذها أوثاناً، والطواف بها واستلامها والصلاة إليها» (٣٢).

وبدلالة ما رواه البخاري ومسلم عن النبي ﷺ قوله: «إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً...» (٣٣) يتجه هذا الأخذ فيما إذا كان ذلك القبر قبر معظّم من نبيٍّ أو وليٍّ بحسب الرواية (٣٤). وفي تفسير قوله تعالى ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ

ابن يعقوب وأبي جعفر الأحول وغيرهم فرفعه على جماعتهم وليس فيهم إلا من هو أكبر سنًا منه فلما رأى أبو عبد الله عليه السلام أن ذلك الفعل قد كُبر على أصحابه قال هذا ناصرنا بقلبه ولسانه وبيده^(٤٤). وما إلى ذلك من الشواهد في تاريخنا التي يضيق المقام لذكر، الأمر الذي يكشف أن مسألة التوقير والتبجيل والاعظام ممارسة فطرية وإنسانية، ومن ثم ممارسة شرعية، وهذا ما ستثبته الأبحاث اللاحقة من هذه الدراسة إن شاء الله تعالى.

المبحث الأول (التعظيم الشخصي بالسجود للأنبياء عليهم السلام) في النص القرآني

مدخل:

تنطوي كثير من النصوص القرآنية على مواضيع يمكن الإفادة منها في التأصيل لمسألة التعظيم بمفهومه العام، إذ يجد المتأمل في كتاب الله العزيز أنه تعالى عَظَّمَ أُمُورًا كَثِيرَةً، «كالقرآن والعرش وخُلِقَ النَّبِيُّ ﷺ»، قال تعالى: ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^(٤٥)، وقال: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(٤٦)، وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٤٧)، وجعل لأنبيائه ورسله حقوقًا على نفسه وعظمتها واحترامها^(٤٨)، ضمن نطاق بديع ورائع يقوم على أساس تعداد محاسنهم والعمل على اعلاء مقاماتهم، ورفع شأنهم، والدفاع عنهم، وتحبيبهم الى الناس؛ بوصفهم القدوة المثلى

اللازمة لصيرورته غير ناقص، فالإنسان الكامل الذي وصل إلى أرقى درجات الإنسانية، ذلك الحد الذي لا يكون فوقه إنسان، من حقّه أن يعظم ويجل ويحظى بدرجة عالية من التوقير والتعزير، وهو أمر فطري، فالنفس الانسانية مجبولة على توقير الانسان صاحب الشأن والمقام كل بحسب شأنه ومقامه.

ثم إن المنع من تعظيم الأنبياء والأولياء عليهم السلام وتكريمهم «يصور الإسلام في نظر الأعداء دينًا جامدًا لا مكان فيه للعواطف الإنسانية، كما يصور تلك الشريعة السمحاء المطابقة للفطرة الإنسانية دينًا يفقد الجاذبية المطلوبة القادرة على اجتذاب أهل الملل الأخرى واكتسابهم»^(٤٩).

والتأمل في كتاب الله تعالى يجد أنه يعظم فريقًا من الأنبياء والأولياء بعبارات صريحة كما يقول في شأن زكريا ويحيى عليهما السلام ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾^(٥٠)، بل أن الشريعة أمرت بتوقير العلماء وأهل الفضل والشرف والمكانة الاجتماعية وإجلالهم؛ وشاع هذا الخلق الكريم بين المسلمين إلى يومنا هذا، فقد تحدثت مصادرنا عن توقير الإمام الصادق عليه السلام لهشام بن الحكم هو من أكبر أصحابه مكانة عنده، وكان فقيها عظيم القدر والشأن، فدخل يوماً على الإمام الصادق عليه السلام في منى وهو «غلام أول ما اختط عارضاه وفي مجلسه شيوخ الشيعة كحمران بن أعين وقيس الماصر ويونس

مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٥٢﴾، وفي الأعراف قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٥٣﴾، فهذه الآيات كلها تؤكد أن آدم وقع مسجوداً له، بيد أن الخلاف وقع بين أهل التأويل والتفسير في وجه ذلك السجود على أقوال لخصها العلامة المجلسي بثلاثة أقوال:

القول الأول: «إن ذلك السجود كان لله تعالى، وآدم على نبينا وآله وعليه السلام كان قبله، وهو قول أبي علي الجبائي وأبي القاسم البلخي وجماعة»^(٥٤).

القول الثاني: «إن السجود في أصل اللغة هو الانقياد والخضوع، قال الشاعر: ترى الأكم فيها سجداً للحوافر، أي الجبال الصغار والتلال كانت مذلة لحوافر الخيول، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٥٥﴾، ﴿٥٦﴾»، أي إن السجود بمعناه المعروف لم يقع من الملائكة، وإنما وقع منهم الانقياد والخضوع فقط، ولا شك في أن بين السجود والانقياد فرقاً واضحاً.

القول الثالث: «إن السجود كان تعظيماً لآدم (على نبينا وآله وعليه السلام) وتكرمة له، وهو في الحقيقة عبادة لله تعالى لكونه بأمره، وهو مختار جماعة من المفسرين»^(٥٧)، ولعل هذا هو القول الراجح من بين تلك الأقوال، إذ يستفاد منه أن السجود لغير الله في الجملة جائز إذا كان بعنوان التعظيم امثالاً لأمر الله تعالى.

وهذا يستدعي تضعيف القول الأول — من أن آدم كان قبله للملائكة —؛ «لأن المقصود من

والمثل الأعلى الذي يحتذي به الآخرون، كسبيل لنيل مرضاته ومغفرته، فقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ افْتَدِهْ ﴿٤٩﴾، وطلب من الناس إتباعهم لما يشكّلون من قيمة في حياتهم على مستوى الحركة الاجتماعية والتربوية التي تقرّب الناس من الوصول الى مرحلة التكامل البشري، ومن ثمّ بناء مجتمع على أساس منظومة قيمية تفضي للسمو والرقى البشري، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٥٠﴾، وتتجلى موضوعات التعظيم الشخصي للأنبياء (عليهم السلام) في القرآن الكريم بمسائل عديدة يأتي في صدارتها موضوعات السجود التي تكررت في أي الذكر الحكيم.

أولاً: سجود الملائكة لآدم (عليه السلام): أجمع المسلمون على أن السجود لا يجوز لغير الله تعالى بوصفه وسيلة عامة للعبادة عند جميع أهل الملل والأديان، إذ تتجلى فيه أعلى مراتب الخضوع والتذلل، ولكن طالما تكرّرت آيات السجود لغير الله تعالى في القرآن الكريم، فهذا ابونا آدم (عليه السلام) وقع مسجوداً للملائكة اكراماً من الله تعالى له، واعلاءً لشانه، وتعظيماً لما آتاه من علمه، وإعلاماً باصطفائه من بين سائر مخلوقاته، قال تعالى في سورة الاسراء: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِيناً ﴿٥١﴾، وقال في سورة الحجر فقال: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ

صَغِيرًا^(٦٣)، «لكن الذوق الديني المتخذ من الاستئناس بظواهره يقضي باختصاص هذا الفعل به تعالى، والمنع عن استعماله في غير مورده تعالى»^(٦٤).

وأوضح برهان على أن الخضوع والتذلل وإن كان مبالغاً فيه لا يُعدُّ عبادة لغير الله تعالى «هو أنه سبحانه أمر الملائكة بالسجود لآدم بقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا...﴾»^(٦٥)،^(٦٦)، فلو كان هذا السجود عبادةً فكيف يمكن أن يصدر إلى إنسان مخلوق وقد نهى تعالى عن عبادة غيره في مواطن كثيرة من كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ...﴾^(٦٧)، مما يعني أن النهي عن عبادة غيره يمثل أصلاً مشتركاً بين جميع الأنبياء (عليهم السلام)، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾^(٦٨)، فضلاً عن ذلك أن المسلمين كافة يقبلون الحجر الأسود ويتبركون به، «ونفس العمل هذا يقوم به عباد الأصنام تجاه أصنامهم مع العلم أن عملهم ذلك شرك قطعاً، وعمل المسلمين توحيد قطعاً»^(٦٩).

الأمر الذي يكشف أن السجود بعنوانه المطلق والخضوع والتذلل مطلقاً لم يكن ممنوعاً «لأن الممنوع شرعاً أو عقلاً ليس إلا إعطاء الربوبية لغيره تعالى، وأما تحية غير أو اكرامه من غير إعطاء الربوبية، بل لمجرد التعارف والتحية فحسب فلا

هذه القصة شرح تعظيم آدم ﷺ، وجعله مجرد القبلة لا يفيد تعظيم حاله»^(٥٨)، بدليل أن رسول الله ﷺ كان يسجد للكعبة ولم يلزم أن تكون الكعبة أفضل منه، «بل ينافيه صريح الآية المباركة، فإن إبليس إنما أبى عن السجود بادعاء أنه أشرف من آدم، فلو كان السجود لله، وكان آدم قبله له لما كان لقوله: ﴿...أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾»^(٥٩)، معنى لجواز أن يكون الساجد أشرف مما يستقبله»^(٦٠).

كما انه يستدعي تضعيف القول الثاني إذ إن ذلك خلاف ظاهر اللفظ، ولا يصار إلى حمل اللفظ على خلاف ظاهره من غير قرينة، فضلاً عن أن المتبادر من السجود وضع الجبهة على الأرض «فوجب أن يكون في أصل اللغة كذلك لأن الأصل عدم التغير»^(٦١).

وقد يرد على هذا القول أن السجود بهذه الكيفية عبادة مختصة بالله تعالى، جوابه أن هذا الاشكال منشأه عدم التفريق بين العبادة والخضوع، إذ ليست العبادة كالخضوع، «إن الخضوع والتذلل حتى إظهار نهاية التذلل لا يساوي العبادة ولا يعد حداً منطقياً لها، بشهادة أن خضوع الولد أمام والده، والتلميذ أمام أستاذه، والجندي أمام قائده، ليس عبادة لهم وإن بالغوا في الخضوع والتذلل حتى ولو قبل الولد قدم الوالدين»^(٦٢)، فلا يمكن أن نعدَّ خضوع الولد بهذه الكيفية عبادة؛ لقوله تعالى: ﴿وَخَفِضْ لَهَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي

يعني أنه كان يؤمن بالله واليوم الآخر، لذا قال: ﴿... فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٧٦)، كما ان امتناعه ليس بداع أن السجود لغير الله لا يجوز، ولكن كان بداعي الترفع والتكبر، قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(٧٧)، وقال: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أُوْحِيَ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا خَشْيَةَ لِرَبِّيَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٧٨)، وقد ورد عنه انه قال: «يا رب وعزتك إن أعفيتني من السجود لأدم لأعبدنك عبادة ما عبدك أحد قط مثلها، قال الله جل جلاله: إني أحب أن أطاع من حيث أريد»^(٧٩) مما يعني ان تعظيم الأولياء بالنحو الذي اراده الله تعالى إنما هو عين العبادة وعين التوحيد إذ لا تعدله عبادة ولو كانت بمستوى عبادة الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين بحسب الرواية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الله تعالى جعل مصير الملائكة مرهوناً بهذا الاعظام، إذ إن من لم يعظم وليَّ الله بالنحو الذي اراده الله تعالى فإنَّ ذلك يفضي إلى الكفر والطرده من رحمة الله سبحانه، الأمر الذي جعل الملائكة يظهرون من انفسهم غاية الخضوع والتذلل لأدم عليه السلام؛ لأنهم ادركوا ان مصيرهم مرهون بهذا الاعظام، وإن الامتناع منه يعني أن يكونوا في هذه القضية إلى صفِّ إبليس.

ثانياً: السجود ليوסף (عليه السلام): هذه القضية أثارت جدلاً واسعاً بين أهل التأويل والتفسير، فإذا كان سجود الملائكة لأدم عليه السلام تمَّ توجيهه أنه بأمرٍ

دليل على المنع من ذلك»^(٧٠)؛ لأن الافعال حكمها انما هو بحسب المقصود بدلالة قول النبي ﷺ: «انما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى»^(٧١)، فبمجرد إتيان هيئة السجود لا يعني القيام بالعبادة الخاصة المعهودة.

لذا إن كثيراً من الناس يخطئ في التمييز بين حقيقة العبادة وحقيقة التعظيم، فيخلطون بينهما خلطاً بيناً ويعدون أي نوع من أنواع التعظيم هو عبادة للمعظم»^(٧٢)، وهذا فهم خاطئ لا يصمد أمام الحقائق العلمية التي اثبتها القرآن الكريم، إذ اثبت أنَّ السجود إذا لم يأت بعنوان العبادة فلا يعدّ شركاً، بل قد يكون في بعض الاحيان واجبا للغير إذا كان امثالاً لأمر الله وطاعة له^(٧٣).

ومن هذا المنطلق أظهر الملائكة من انفسهم غاية الخضوع والتذلل، فعظموا من عظمة الله تعالى، ما خلا إبليس فقد تكبر وترفع أن يسجد لمن خُلق من طين، «وعلل ذلك بعله خَلَقَهُ مِنْ نَارٍ وَخَلَقَ آدَمَ مِنْ طِينٍ وَأَنْفَ مِنْ تَكْرَمَتِهِ عَلَيْهِ وَاسْتَنَكَفَ مِنَ السَّجْدِ لَهُ، فَهُوَ أَوَّلُ الْمُتَكَبِّرِينَ وَلَمْ يَعِظْهُ مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ، فَطَرِدَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ لِتَكْبَرِهِ عَلَى هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ وَهُوَ عَيْنُ التَّكْبَرِ عَلَى اللَّهِ؛ لِأَنَّ السَّجْدَ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ إِذْ هُوَ بِأَمْرِهِ، وَإِنَّمَا جُعِلَ السَّجْدُ لَهُ تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا لَهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ فَلَمْ يَنْفَعَهُ تَوْحِيدُهُ»^(٧٤) — أي إبليس —، بدلالة أنه أقسم بعزة الله في قوله: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٧٥)، وهذا

من الله تعالى كما هو معلوم من آيات عديدة في القرآن الكريم، فكيف يمكن أن يصدر السجود من إنسان إلى إنسان آخر في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا...﴾^(٨٠)، أي سجد له أبواه وإخوته، وإذا ما جرى التسامح مع سجود أخوة يوسف له، فكيف يمكن قبول هذا التسامح في سجود يعقوب ليوسف عليه السلام وهو أبوه وله حق الأبوة، وزيادة على ذلك إنه نبي^(٨١)، لذا فقد تعددت الآراء، وتشعبت الأقوال في تفسير ذلك السجود:

القول الأول: إن السجود كان لله، «فكأنه قال فخرُوا لله سجداً شكراً على ما أنعم به عليهم من الاجتماع»^(٨٢)، ويرد على هذا القول أن (الهاء) في قوله تعالى: ﴿وَخَرُّوا لَهُ﴾ راجعة إلى يوسف عليه السلام لقوله تعالى: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(٨٣)، فيكون الضمير عائد على يوسف «كما يعطيه السياق فهو المسجود له وقول بعضهم إن الضمير لله سبحانه نظراً إلى عدم جواز السجود لغير الله لا دليل عليه»^(٨٤)

القول الثاني: «إنهم سجدوا إلى جهة يوسف على وجه القربة إلى الله، كما يسجد إلى الكعبة على وجه القربة إلى الله»^(٨٥)، ويرد على هذا القول أن السجود إلى جهة يوسف عليه السلام لا قيمة له ما دام السجود لله تعالى، فضلاً عن أنه قد سجد معهم، فإذا كانوا قد سجدوا إلى جهة يوسف واتخذوه قبله، فإلى أين سجد

يوسف (ع)، وإلى أي قبله توجه. القول الثالث: إن تحية الملوك كانت عندهم السجود، وهو قول أغلب المفسرين، قال ابن كثير: «إذا سلموا على الكبير يسجدون له، لم يزل هذا جائزاً من لدن آدم إلى شريعة عيسى (ع)، فحرم هذا في هذه الملة»^(٨٦)، ويرد عليه أن لازم ذلك أن يسجد الوضيع إلى الشريف، والصغير للكبير والعبد لسيده، قال القرطبي: «وكانت تحيتهم أن يسجد الوضيع للشريف والصغير للكبير يسجد يعقوب وخالته وأخوته ليوسف»^(٨٧)، والوضاعة تنافي مقام النبوة ومقام الأبوة الذي كان عليه يعقوب (ع)، ثم لو كان السجود لذاته شركاً، وقد حُرِّمَ في شريعة محمد ﷺ فكيف حل في الشرائع السابقة، والله لا يأمر بالشرك، ولا يأمر بالفحشاء، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾^(٨٨).

القول الرابع: وملخصه أن السجود كان لطلب مصلحة يوسف والسعي إلى إعلاء منصبه، وهذا هو المتعين عند الرازي^(٨٩)، وهذا الرأي لا دليل عليه، إذ لم يرد هذا المعنى لا في روايات العامة ولا الخاصة، ولا يعدو كونه استحساناً من الرازي لا أكثر. القول الخامس: إن السجود وقع من أخوة يوسف ومن الحاضرين بمعنى «أن الضمير في قوله: ﴿...وَخَرُّوا لَهُ...﴾ غير عائد على الأيوين لا محالة وإلا لقال: وخروا له ساجدين بل الضمير عائد إلى أخوته وسائر من كان يدخل عليه لأجل التهيئة، والتقدير ورفع أبويه على العرش مبالغة

الإمام ﷺ قرن بين السجودين، فجعل سجود يعقوب ﷺ وأولاده ليوسف، من سنخ السجود الأول، وهو ما يؤيده قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّ حَقًّا﴾^(٩٥)، إذ يبدو للمتأمل في النص القرآني أن يوسف لم يكن راضياً بهذا السجود وكأن ظاهر حاله أنه أراد الاعتذار من أبيه بقوله: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّ حَقًّا﴾، ويؤيد ذلك أيضاً قول ابن عباس: «إنه لما رأى سجود أبويه وإخوته هاله ذلك واقشعر جلده منه وقال ليعقوب هذا تأويل رؤياي من قبل»^(٩٦)، أي إن سجودكم هذا كان بأمر من الله تعالى أنبأني به عبر الرؤيا التي رؤيتها في منامي.

من هذا المنطلق قال الرازي: «كأنه يقول يا أبت لا يليق بمثلك على جلالتك في العلم والدين والنبوة أن تسجد لولدك إلا أن هذا أمر أمرت به وتكليف كلفت به»^(٩٧)، ذلك أن رؤيا الأنبياء ﷺ جزء من الوحي، وهي حق لا محالة، بدليل أن رؤيا إبراهيم ﷺ في ذبح ولده «صارت سبباً لوجوب ذلك الذبح عليه في اليقظة فكذلك صارت هذه الرؤيا التي رآها يوسف وحكاها ليعقوب سبباً لوجوب ذلك السجود»^(٩٨)، في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(٩٩)، أي عقل أن تكون رؤيا إبراهيم ﷺ سبباً لوجوب ذبح ولده في اليقظة، ولا تكون رؤيا يوسف ﷺ سبباً لوجوب سجود أبويه وإخوته في

في تعظيمهما وأما سائر الأخوة وسائر الداخلين فخرروا له ساجدين»^(٩٠)، ويرد على هذا القول إن تعبير رؤيا يوسف ﷺ لم تكن مطابقة لما رآه من سجود أبويه وإخوته، وعليه فهي لا تتلائم وقوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّ حَقًّا﴾^(٩١)، وقد حاول الرازي دفع هذا الإشكال بقوله: «إن تعبير الرؤيا لا يجب أن يكون مطابقاً للرؤيا بحسب الصورة والصفة من كل الوجوه فسجود الكواكب والشمس والقمر، تعبير عن تعظيم الأكابر من الناس له»^(٩٢).

وبناءً على مُلابسات الموقف التي تقتضي تفسير هذا السجود تفسيراً ينسجم مع أصول الشريعة الإسلامية وقواعدها، يمكن القول إن هذا السجود نظير سجود الملائكة لآدم (ع)، فيكون من مظاهر الاعظام في القرآن الكريم لبعض انبيائه، بدلالة قول الإمام الهادي ﷺ: «وأما سجود يعقوب وولده كان طاعة لله ومحبة ليوسف، كما أن السجود من الملائكة لآدم لم يكن لآدم، وإنما كان ذلك طاعة لله ومحبة منهم لآدم، فَسَجَدَ يَعْقُوبُ ﷺ وَوُلَدُهُ وَيُوسُفُ معهم شكراً لله؛ باجتماع شملهم، أَلَمْ تَرَهُ يَقُولُ فِي شُكْرِهِ ذَلِكَ الْوَقْتُ: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾»^(٩٣)،^(٩٤)، لذا حق السجود من الجميع بما في ذلك يعقوب ﷺ؛ لأنه بأمر من الله تعالى، إذ الملاحظ أن

يحبّهم الله ويحبّونه لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(١٠١).

المبحث الثاني التعظيم بالتزام أدب المحاورة والتخاطب مع النبي (ص)

مدخل:

من مظاهر الاعظام الشخصي في القرآن الكريم حبُّ رسول الله ﷺ، والتأدب بحضرته حيًّا كان أو ميتًا، فكما أن طاعته واجبة كونها طاعة لله عزَّ وجلَّ، لذلك قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾^(١٠٢)، كذلك محبته، والتأدب بحضرته واجبة كونها محبة لله تعالى وأدب معه، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، إذ لا يتصور محبته مع سوء الأدب معه.

وقد تعددت أنواع الأدب مع رسول الله ﷺ فمنها ما هو قلبي، كالاعتقاد بتفضيله واستشعار هيئته، ويعد هذا النوع أحد أبرز أركان العقيدة، فلا يصح إيمان عبد ما لم يؤمن برسول الله ﷺ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُقَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ

اليقظة أيضاً. ولا شك في أنَّ في ذلك حكمة بالغة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، لكنها في الوقت نفسه تنطوي على أعلى مراتب الاعظام لولي الله يوسف عليه السلام بعد أن أنف أخوته أن يعظموه ويعترفوا بأفضليته عليهم، وبعد أن استرقَّ وصار عبداً مملوكاً، ثم تحمل ويلات السجن لسنين طويلة، فأراد تعالى أن يُعلي شأنه ويظهر منزلته، ما حدا بيعقوب عليه السلام إلى أن يذهب إليه بنفسه وهو أمر لا يخلو من الإعظام ليوسف (ع)، إذ يقول ابن حيان الاندلسي: «ولا شك أن ذهاب يعقوب عليه السلام مع ولده من كنعان إلى مصر لأجل يوسف نهاية في التعظيم له»^(١٠٣)، والاحلال لمقامه، والاعتراف بذلك فعلاً وواقعاً.

وتأسيساً على ما تقدم يمكن القول: إنّ إبداء الإعظام والإجلال وإظهار التذلل للأنبياء والأولياء والأوصياء عليهم السلام الذين هم المثل الأعلى للإيمان والكمال الإنساني إنما هو بأمر من الله تعالى، وإن كان لا يحتاج إلى ذلك، لأنَّ العقل يرشد إلى مثل هذه الأمور، وعلى هذا لم ينتظر أيّ من عقلاء الدنيا من المتدينين وغيرهم صدور الأمر الإلهي لممارسة مظاهر الاعظام والتبجيل والاحترام المتعارفة؛ كونها تنطلق من جذور قرآنية، ومنطلقات عقلانية.

وعليه إنّ ما يقوم به أتباع مدرسة أهل البيت عليه السلام من إبداء الاعظام والتذلل للأنبياء والأئمة عليهم السلام إنما هو بأمر من الله تعالى؛ لأنَّ الذلّة تمثل أعلى مراتب التواضع للمؤمنين، بل هي من خصال الناس الذين

عليم، يعلم ظاهركم وباطنكم وعلايتكم وسركم»^(١٠٧)، وهو تعليل للنهي ودعوة للانتباه إليه.

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن للآية مفهوماً واسعاً يشمل أي نوع من أنواع السبق والتقدم والإسراع في كل خطوة وأمر هم الرسول ﷺ بإبرامه، وهذا ما حدا ببعض المفسرين إلى أن يُسمي هذه السورة التي وردت فيها الآية الأنفة الذكر بسورة الاخلاق^(١٠٨)، كونها تمثل مجموعة من التعليمات التي ترسم للمسلمين الخطوط العامة في كيفية التعامل مع النبي ﷺ، والتأدب بحضرته، وتشعر بأن له احكاماً خاصة من التوقير والتعظيم والتبجيل، فهو سائس هذه الأمة ومعلمها، وحق السائس التعظيم كما يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق، إذ يقول: "وحق سائسك بالعلم: التعظيم له والتوقير لمجلسه وحسن الاستماع إليه"^(١٠٩)، وعليه فإن تعظيمه وتوقيره من أعظم الحقوق على هذه الأمة بعد أن عظم الله تعالى قدره، وخصه بفضائل ومناقب ومحاسن أثنى عليها القرآن الكريم، وحث الأمة على التزام بها.

ثانياً: عدم رفع الصوت فوق صوت النبي (ص):

بعد النهي عن التجاوز في القول والفعل تستمر سورة الأخلاق في تحديد النهج الأخلاقي والسلوكي مع النبي ﷺ فتشير إلى جانب آخر من جوانب الأدب معه، إذ تثير مسألة غاية في الأهمية وذلك حين تمنع

وَنَكْفُرُ بِبَعْضِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا^(١١٣)، ومنها ما هو عملي، كعدم التقدم عليه بالإفتاء حتى يقضي الله ذلك على لسانه، والتمزام طاعته فيما يأمر به، وما ينهى عنه، ومنها ما هو قول، وهو ما يتعلق باللسان، أي أن يكون الصوت ارفع من صوت النبي ﷺ، ولا ينادى باسمه، ولا يُتقدم بين يديه لا بأمر ولا بنهي، ولا بإذن ولا بتصريف حتى يأمر هو أو ويأذن بذلك، وهو ما سيتم بحثه في هذا المطلب إن شاء الله تعالى.

أولاً: عدم التقدم عليه بالقول والحكم: من تمام إعظام النبي ﷺ عدم التقدم بين يديه لا بقول ولا بحكم، لأن ذلك يستبطن الاستهانة بالله تعالى وبرسوله، لذا قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١١٤)، أي لا يصدر منكم نوع من السبق بالقول أو الحكم أو القضاء، وهو ما ينسجم مع تذييل الآية بقوله: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وإلا لقليل: «إن الله سميع بصير» ليحاذي بالسميع القول وبالبصير الفعل^(١١٥).

قال ابن القيم: «من الأدب مع الرسول ﷺ أن لا يُتقدم بين يديه بأمر ولا بنهي، ولا إذن ولا تصرف حتى يأمر هو ويأذن»^(١١٦)، ثم حذر الباري جل وعلا من مخالفة ذلك الأدب، فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، أي اتقوا الله تعالى في إهمال حقه وتضييع حرمة «فلا تقدموا قولاً بلسانكم ولا في سرركم لأن الله سميع، يسمع أقوالكم،

بحسن التعامل مع الآخرين، ووصف به رسوله بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(١١٥)، فكيف — والحال هذه — بالتعامل مع سيد البشر محمد ﷺ.

ومن الجدير بالذكر أن الآية تجعل أعمال المؤمنين الصالحة مرهونة بالالتزام بمقتضيات ذلك الأدب، بالقول: ﴿... أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، والحبوط: يعني البطلان والإسقاط الذي قد يحصل دون شعور من الإنسان، مما يعني تضييع الأجر والحسنات التي يحتاجها عندما يواجه حساب الله سبحانه^(١١٦)، فجعلت الآية تصرفاً كهذا موجباً لضياع العمل الصالح لما فيه من هتك لحرمة النبي ﷺ.

ثم ينطف خطاب التعظيم ليشير إلى نقطة أخرى مهمة حين يعمد إلى تبين فضيلة المراعين لحرمة النبي ﷺ بالقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(١١٧)، أي امتحن قلوبكم ليعلم من يعظم رسول الله ﷺ منكم «فإن من يعظم واحداً من أبناء جنسه لكونه رسول مرسل يكون تعظيمه للمرسل أعظم وخوفه منه أقوى»^(١١٨)، وهو نظير قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْكُمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(١١٩)، أي ان تعظيم أي أمر إلهي من تقوى الله، كذلك تعظيم رسول الله ﷺ من تعظيم الله تعالى، إذ إن ما يوجب الامعان والتدبر «أن

من التخابط معه بصوت يعلو صوته، عبر إشارة النزعة اليمانية التي يحملونها، فتكرر نداء: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(١٢٠)، وإعادة النداء هنا مع قرب العهد به للمبالغة في الإيقاظ والتنبيه واستقلال كل من النداءين، الأمر الذي يستدعي الاعتناء به^(١٢١)؛ لأن تصرفاً كهذا يعدّ إما تجاسراً عليه واستخفافاً بمقامه وهو من شعب الكفر، أو من سوء الأدب، وهو خلاف التعظيم الذي أراده الله تعالى لنبيه ﷺ في موارد كثيرة من كتابه العزيز^(١٢٢).

وعليه إن الآية الكريمة توحى بضرورة الالتزام بمقتضيات الايمان التي يأتي في صدارتها أدب المحاورة والتخابط مع النبي الأكرم ﷺ، إذ إن أي سلوك ينافي هذا الأدب «يدل على قلة الاحتشام وترك الاحترام، لأن خفض الصوت وعدم رفعه من لوازم التعظيم والتوفير»^(١٢٣)، وقد اكد السيد الطباطبائي هذا المعنى بقوله «فإن من التعظيم عند التخابط أن يكون صوت المتكلم أخفض من صوت مخاطبه فمطلق الجهر بالخطاب فاقد لمعنى التعظيم، فخطاب العظماء بالجهر فيه كخطاب عامة الناس لا يخلو من إساءة الأدب والوقاحة»^(١٢٤)، مما يعني أن لرسول الله ﷺ أحكاماً خاصة، واساليب شرعية مختلفة عما هو عليه غيره، فإذا كان تعالى قد أمر

تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ
 إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ
 خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿١٢٤﴾، لذا فقد نهى الله
 تبارك وتعالى عن مناداة النبي ﷺ باسمه
 المجرد كما ينادي الناس بعضهم بعضاً،
 فقد قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ
 بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ ﴿١٢٥﴾، «يعني
 لا تدعوا محمداً ﷺ باسمه كدعاء بعضهم
 بعضاً، ولكن وقروه وعظموه وقولوا: يا
 رسول الله، ويا نبي الله، ويا أبا القاسم،
 وفي الآية بيان توقير معلم الخير لأن رسول
 الله ﷺ كان معلم الخير فأمر الله عز وجل
 بتوقيره وتعظيمه» ﴿١٢٦﴾، فينبغي أن تدعوه
 بأدب واحترام يليق بمنزلته، ولا يقتصر هذا
 الأدب على حياة النبي بل انه جاري حتى
 بعد وفاته، فقد قال الألوسي: «الظاهر
 استمرار ذلك بعد وفاته إلى الآن» ﴿١٢٧﴾.
 وتجدر الإشارة إلى أن التزام هذا الأدب هو
 منهج قرآني، إذ ليس في القرآن الكريم كله
 نداء «يا محمد»، بالاسم المجرد مطلقاً،
 مع ان هناك خمسة وعشرين نداءً في القرآن
 للأنبياء بأسمائهم المجردة، لكن ذلك
 لا يعني أن الله تعالى لا يعظم انبياءه ﷺ
 لأنه ذكرهم بأسمائهم، لكنه تعالى لما كان
 متحدثاً للرسول ﷺ عن الأنبياء السابقين
 كان من الأولى الواجب ذكرهم بأسمائهم
 حتى يعرفهم الرسول ﷺ، واللافت للنظر
 ان هذا العدد هو بعدد الأنبياء الذين ذكرت
 أسماؤهم في القرآن الكريم. مثل قوله
 تعالى لآدم عليه السلام: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ
 أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ

الآية السابقة ورد فيها التعبير بالنبي، إلا أن
 هذه الآية ورد التعبير فيها برسول الله،
 وكلتا الآيتين تشيران إلى هذه «اللطيفة»:
 وهي أن النبي ليس عنده شيء من نفسه،
 بل هو رسول الله ونبيه، فإساءة الأدب إليه
 إساءة الأدب إلى الله ورعاية الأدب إليه
 رعاية لله» ﴿١٢٨﴾.

ثالثاً: عدم مناداة النبي (ص) باسمه:

من الآداب المعروفة في المجتمعات العربية
 والاسلامية التخاطب مع أصحاب الشأن
 والمكانة بأدب رفيع، وعدم مناداتهم
 بأسمائهم، وعدت الشريعة توقير العلماء
 وحملة القرآن والمسلم ذي الشبهة، من
 إجلال الله تعالى، لقول رسول الله ﷺ: «إن
 من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشبهة المسلم
 وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه
 وإكرام ذي السلطان المقسط» ﴿١٢٩﴾، ومن
 ذلك النهي عن مناداة الولد والده باسمه،
 لأنه خالٍ من التعظيم والتبجيل المطلوب،
 فقد رأى رسول الله ﷺ رجلاً معه غلام
 فقال للغلام: «من هذا، قال: أبي، قال:
 فلا تمش أمامه، ولا تستسب» ﴿١٣٠﴾ له، ولا
 تجلس قبله، ولا تدعُ باسمه» ﴿١٣١﴾.

فحينما يكون المرء أحد هذه الأصناف
 فإن الناس يحترمونه ويجلونهم ولا ينادونه
 إلا واسمه مقترن بصفة محمودة بين أفراد
 مجتمعه يعبرون بها عن احترامهم له،
 فكيف يكون الحال لو كان الأمر متعلقاً
 بسيد البشر الذي اقترنت طاعته بطاعة الله
 تعالى، في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا
 اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ

نستنبط من مجموع النصوص المتقدمة أن تعظيمه وتوقيره ومعرفة مكانته جزءاً من الدين، وهو ما يظهره قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١٣٦)، إذ جعل تعالى سلامه على نبيه فرضاً فيما هو فرض، فجعل صحة صلاة المسلم متوقفة على هذا السلام، وهو ما يعكس تعظيم الله عز وجل لحبيبه مُحَمَّد ﷺ.

بعد ذلك يقول القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٣٧)، أي أن إساءة الأدب أمام أعظم شخصية عرفها الكون دليل عدم العقل، فينبغي أن تستعملوا عقولكم في مخاطبة رسول الله ﷺ، فالآيات المتقدمة في مقام تعليم المسلمين أدب المحاورة والتخاطب مع النبي الأكرم ﷺ (١٣٨)، وإن مراعاة حرمة التزام أعلى درجات الأدب في التعاطي معه يحتاج إلى التسليم المطلق لتعاليم القرآن الكريم، إذ عدَّ الله تعالى الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله ﷺ ويراعون الأدب القرآني بأنهم اتقياء القلوب، وجديرون بالمغفرة، وفي السياق نفسه نلاحظ أن الباري جلّ وعلا حتى في عتابه للنبي ﷺ لم يعاتبه إلا بلغة مشبعة بالرفق واللين، تسبقها عبارات العفو والمغفرة عنه، كما في قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ (١٣٩)، والله أن يخاطب من يشاء بما يشاء، لكنه أراد إفهام الأمة بأن رسول الله لا يخاطب إلا

شَيْئًا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٢٨)، وقوله تعالى لنوح ﷺ: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (١٢٩)، وقوله لإبراهيم ﷺ: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٠)، وغيرهم من الأنبياء الذين خاطبهم الله تعالى بأسمائهم. أما فيما يخص النبي الأكرم ﷺ فقد ناداه باللقب الدال على تعظيمه وتكريمه، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾ (١٣١)، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (١٣٢)، فاستهل النداء بصفة الرسالة تنويعاً بفضلها، كما أنه تعالى خاطبه بصفة النبوة، بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٣)، وقوله جلّ وعزّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (١٣٤)، وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٣٥)، وهذا ما يميّز به النبي ﷺ، إذا

ان يناجى إلا بعد التطهر بالصدقة، وبعد أن شق ذلك على المسلمين نُسَخَ هذا حكم التصديق عند مناجاته بقوله تعالى: ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١٤٥)، بعد ان تحقق الحكمة من وراء هذا التكليف، وهي الإشارة إلى وجوب تعظيم الرسول الأكرم ﷺ، وحرص الباري جلّ وعلا على إفهام المؤمنين مقدار منزلته عنده تعظيماً وإجلالاً له ﷺ.

المبحث الثالث التعظيم الشخصي بالمدح وتعداد الصفات السامية

مدخل:

ما كان لبشر أن يذكر لنفسه من الفضائل والمناقب ما يمدحها به سواء أكان صادقاً أم كاذباً فيما يقول، لأن ذلك لا أثر له في المتلقي، بوصفه ثناءً على الذات، يندرج غالباً تحت مفهوم العجب والغرور الذي هو من أمهات الرذائل؛ لأنه يبعث على الاستعلاء والكبر، بل انه يندرج ضمن مفهوم الظلم لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يظْلُمُونَ شَيْئاً﴾^(١٤٦)، ممّا يعني أن الله تعالى يزكي كل من جاز ان يتلبس بمفهوم التزكية. ولما كانت الفضائل هي التي مدحها الله تعالى وسماها بذلك، فلا قيمة لفضل لم يعرفه الدين ولم يسمه

بالتزام أعلى درجات الأدب والاحترام. رابعاً: تقديم الصدقة عند مناجاته (ص):

من الآداب الأخرى التي أراد الله تعالى بها إظهار عظمة النبي ﷺ تقديم الصدقة قبل مناجاته، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١٤٧)، قال الطبرسي: «أراد بذلك تعظيم النبي ﷺ»^(١٤٨)، وتناول الرازي مجموعة من المسائل التي اشارت إليها الآية الكريمة جاء في مقدمتها: «إعظام الرسول عليه السلام وإعظام مناجاته فإن الإنسان إذا وجد الشيء مع المشقة استعظمه، وإن وجده بالسهولة استحققه»^(١٤٩)، وظاهر الآية يُنبئ أن تقديم الصدقة كان واجباً وهو ما يؤكد قوله تعالى: ﴿... فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، «فإن ذلك لا يقال إلا فيما يفقده يزول وجوبه»^(١٥٠).

وتأسيساً على ما تقدم فإن التركيز على الجانب البشري في شخص رسول الله ﷺ يعدُّ نظرية جاهلية لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾^(١٥١)؛ لأنها تستبطن إهمال الجوانب المقامية الروحية الأخرى التي يمتلكها، مثل النبوة والرسالة والاصطفاء التي توجب التشديد على التزام أعلى درجات الأدب في التعامل معه حتى لا يُسْتَغْلَ حياءُ النبي ﷺ لذا أمر تعالى بوجوب التصديق قبل مناجاته، لينبه بذلك على أن له احكاماً خاصة تتعدى الجانب البشري، فلا يصح

تعالى فضلاً، وعليه فالله تعالى وحده هو الذي يفيض الفضل على من يشاء من عباده، وهو وحده الذي يزكي من يشاء من عباده تزكية عملية بإعطاء الفضل وإفاضة النعمة، وهو وحده من يزكي من عباده تزكية قولية بذكر صفات الجمال والكمال^(١٤٧).

وعلى هذا الأساس أصبحت مسألة الإطراء والمديح وذكر صفات الجمال والكمال للأنبياء عليهم السلام منهجاً قرآنياً يقوم على اساس تعداد محاسنهم والعمل على اعلاء مقاماتهم والدفاع عنهم، وتجيبيهم الى الناس؛ بوصفهم القدوة المثلى والمثل الأعلى الذي يحتذي به الآخرون، من جانب، ومن جانب آخر «حتى لا تبطل آثار الفضائل عند الناس فلا يعرفوا لصاحب الفضل فضله ولا يُعَظِّمُوا قَدْرَهُ، بل هي شعائر الله تعالى وعلائمه وقد قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾»^(١٤٨)،^(١٤٩).

ومن هذا المنطلق فقد أسبغ الله تعالى على انبيائه عليهم السلام من صفات الكمال ما يجلي عظمتهم، ويرفع قدرهم، ويعلي مكانتهم لدى الناس اجمع، بهدف تشخيص القدوة ممن وصل الى اعلى مراتب الكمال لنكون قادين على الاقتداء بهم، ومن الأنبياء الذين أنالهم الله تعالى الحظ الأوفر في الاطراء والمديح، وتعداد المناقب هم: أولاً: نوح (عليه السلام) وصفاته في القرآن الكريم:

قال تعالى وهو يصف نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُ

كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾^(١٥٠)، «وذلك اعلاء لمرتبه ورفع لدرجة، فإنه عليه السلام فيما استقبله من فنون البلايا والنوائب وضروب الرزايا والمصائب لم يرتض بالصبر عليها وترك الجزع بل شكر الله تعالى على أن أكرمه بها وفضله واختصه بمثوبتها»^(١٥١)، وصفة العبودية والشكر من بعض صفاته وخصائه التي وردت في القرآن الكريم، وهناك من أوصافه ما تجلي عظمته ومقامه، فقد وصفه عز وجل بأوصاف منها: أنه اصطفاه على العالمين بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١٥٢)، وعده من المحسنين في قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(١٥٣).

ثانياً: ابراهيم (عليه السلام) وما اسبغه الله تعالى عليه من صفات الكمال:

اسبغ الله تعالى على ابراهيم عليه السلام من صفات الجمال والكمال بما لا مزيد عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِنِعْمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(١٥٤)، فالصفة الأولى: أنه كان ﴿أُمَّةً﴾؛ أي إنه كان وحده أمة من الأمم لكمالها في صفات الخير، فما من صفة حميدة خلقها إلا وهي متجسدة بإبراهيم بأجلى مصاديقها، والصفة الثانية: أنه كان ﴿قَانِتًا لِلَّهِ﴾، والقانت هو القائم

﴿ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ تنبيهاً على أنه تعالى أجاب دعاءه^(١٦١).

ثالثاً: اسماعيل عليه السلام وصفاته التي عرف بها في القرآن الكريم:

أما اسماعيل عليه السلام فقد وصفه تعالى بأربع من صفاته البارزة في قوله: ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾^(١٦٢)، فأول هذه الصفات ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ أي إنه إذا وعد بشيء وفي به ولم يخلف، فوصفه تعالى بهذا الخلق الشريف؛ لأنه المشهور والموصوف به، إذ لم تعهد من غيره، وأجلى مصاديق الوفاء بالعهد وعُدُّ الصبر على الذبح، في قوله تعالى: ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾^(١٦٣)، فوفى بوعده ولم يخلف^(١٦٤)، «ومن وفي بوعده في تسليم نفسه للذبح فإن ذلك من أعظم الأدلة على عظيم صدقه في وعده»^(١٦٥) وثانيها، قوله: ﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾، وهو ما يؤكد ارتباطه بالله تعالى كونه مرسل من قبله، وثالثها، قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ﴾ وهذا يعني أن المرحلة الأولى من تبليغ الرسالة هي الشروع بتبليغ الأهل، نظير ما فعله رسول الله ﷺ بدعوته زوجته خديجة وابن عمه علي عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا... ﴾^(١٦٦)، ثم أمره بإنذار عشيرته الأقربين، بقوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾^(١٦٧)، ورابعها: قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ

بما أمره الله تعالى به، والصفة الثالثة: كونه ﴿... حَنِيفًا...﴾، والحنيف المائل إلى ملة الإسلام ميلاً لا يزول عنه، والصفة الرابعة: قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ بمعنى أنه كان من الموحدين في الصغر والكبر، ويؤيد ذلك قوله لمن حاجه في ربه: ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾^(١٥٥) والصفة الخامسة، انه كان ﴿ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ ﴾ أي انه كان شاكرًا لجميع نعم الله إن كانت قليلة أو كثيرة، والصفة السادسة: قوله: ﴿ ... اجْتَبَاهُ... ﴾، والاجتباء يعني القرب^(١٥٦)، أي قربته منه واصطفاه للنبوة، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾^(١٥٧)، والصفة السابعة: قوله تعالى: ﴿ ... وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ... ﴾، أي في الدعوة إلى الله والترغيب في الدين الحق والتنفير عن الدين الباطل، والصفة الثامنة: قوله: ﴿ ... وَاتَّبَعَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً... ﴾، يعني الذكر الحسن الذي طلبه بقوله: ﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾^(١٥٨)، «أي ثناءً حسناً لأن اللسان آتته»^(١٥٩)، فقد حببه تعالى إلى الناس كافة، فكل أهل الأديان يقرون به، لا سيما عند المسلمين واليهود والنصارى، وأما كفار قريش وسائر العرب فلا فخر لهم إلا به^(١٦٠)، والصفة التاسعة قوله: ﴿ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾، أي ممن طلب أن يكون معهم في دعائه الذي حكاه القرآن بقوله: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ فاستجاب الله دعوته وقال:

مَرْضِيًّا»، وهو وصف يشير إلى إنه قد حاز رضى الله تعالى في كل اعماله، «وهو في نهاية المدح لأن المرضي عند الله هو الفائز في كل طاعاته بأعلى الدرجات»^(١٦٨).
 رابعاً: داود عليه السلام وشرف الاضافة إلى الذات الإلهية:

من الصفات التي تشعر بمرتبة عالية من مراتب الاعظام ما اسبغها الله تعالى على عبده داود عليه السلام بقوله: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(١٦٩)، فخصه بشرف الإضافة إلى نفسه، إذ وصفه بقوله: (عبدنا)، ومرتبة العبودية قمة لا يصل إلى شأوها شيء، فهي غاية الوجود الإنساني في هذه الدنيا، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١٧٠)، وبها أرسل جميع الرسل والأنبياء ﷺ، فكانوا أولى الناس بتحملها، لذا خصهم الله تعالى بها، ووصفهم بأنهم عبيده، وأكرمهم بشرف الاضافة إليه، كما في قوله عز من قائل: ﴿وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾^(١٧١)، وفي قوله عز وجل: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾^(١٧٢)، وقوله سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾^(١٧٣)، وما إلى ذلك من الآيات التي تشرف الأنبياء ﷺ بنسبتهم إلى الله تعالى. فأول الصفات التي اسبغها الله تعالى على داود عليه السلام هي صفة العبودية التي استحق بها ان يكون نبياً فقال عنه: ﴿عَبْدَنَا دَاوُودَ﴾، ثم بعد ذلك وصفه بـ: ﴿ذَا الْأَيْدِ﴾، والأيد: القوة، فكان «ذا قوة في تسبيحه تعالى يسبح ويسبح معه الجبال والطير، وذا

قوة في ملكه وذا قوة في علمه وذا قوة وبطش في الحروب وقد قتل جالوت الملك كما قصه الله في سورة البقرة»^(١٧٤)، ثم قال عنه: ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، والأواب اسم مبالغة من الأوب بمعنى الرجوع، والمراد به كثرة رجوعه إلى ربه^(١٧٥)، وهي تدل على عظمة مقام داود عليه السلام.

خامساً: الثناء على صبر أيوب (عليه السلام) في القرآن الكريم:
 قد يتلى الله تعالى بعض أنبيائه ليوفيهم أجور الصابرين، وليرفع من درجاتهم، ويعلي مكانتهم، فيُعْظَم شأنهم بين الناس، ولهذا نجد أن مسيرة الأنبياء G، مسيرة شاقة، والطريق الذي سلكوه طريق مليئة بالصعاب والعقبات، قال عنها ابن القيم: «الطريق طريق تعب فيه آدم، ونوح لأجله نوح، ورُمي في النار الخليل، وأُضْجِع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس ولبث في السجن بضع سنين، ونُشِر بالمنشار زكريا، وذُبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضرَّ أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد ﷺ»^(١٧٦)، حتى أصبحوا مضرب المثل في الصبر على ما انتابهم من الشرور والبلايا، لكن الذي نال ثناء الله تعالى على صبره، وصار مثلاً يُحتذى به نبيه أيوب عليه السلام، فقد قال عنه تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(١٧٧)، ومعلوم لدى أهل اللغة أن الفعل (نعم) من افعال المدح، وعليه فإن «هذه الآية تبين أولاً:

بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٢﴾، ورابعهما: قوله: ﴿... وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا...﴾، «معناه قربناه من الموضع الذي شرفناه وعظمناه بالحصول فيه ليسمع كلامه تعالى» (١٨٣)، ومعنى ذلك أن الله تعالى أناله ما لا سبيل لغيره إليه (١٨٤)، وخامس تلك المواهب قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾، إشارة الى انه تعالى اجاب دعاءه إذ قال: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ (١٨٥)، (١٨٦)، ومعنى ذلك ان الله إنما وهب له نبوته لا شخصه وأخوته (١٨٧).

سابعاً: الصفات البارزة لحيى وزكريا (عليهما السلام) في القرآن الكريم: ذكر الله تعالى بصيغة المديح والاطراء بعضاً من صفات يحيى وزكريا (عليهما السلام)، فقال عنهما: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (١٨٨)، فقد أشار تعالى إلى ثلاث صفات من الصفات البارزة لهذه الأسرة، فالصفة الاولى، قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ...﴾، «والمسارعة في طاعة الله تعالى من أكبر ما يمدح المرء به لأنه يدل على حرص عظيم على الطاعة» (١٨٩)، والصفة الثانية، قوله: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾، أي «إِنَّهُمْ ضَمُّوا إِلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ وَالْمَسَارَعَةِ فِيهَا أَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا: الْفَزَعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِمَكَانِ الرِّغْبَةِ فِي ثَوَابِهِ وَالرَّهْبَةُ فِي عِقَابِهِ، وَالثَّانِي: الْخُشُوعُ وَهُوَ الْمَخَافَةُ الثَّابِتَةُ فِي

علو مقام أيوب عند الباري عز وجل، وذلك من خلال كلمة (عبدنا)، وثانياً: فإنها تشير بصورة خفية إلى الابتلاءات الشديدة التي لا تطاق، وإلى الألم والعذاب الذي مسَّ أيوب عليه السلام» (١٧٨).

سادساً: مواهب موسى عليه السلام في القرآن الكريم:

وصف الله تعالى موسى عليه السلام في كتابه الكريم فقال عنه: ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ (١٧٩)، فأشارت الآية إلى خمسة مواهب أعطيت لموسى (عليه السلام)، أولها: إنه وصل في طاعته وعبوديته لله إلى حد إنه ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾، والمُخْلَصُ الذي أخلصه الله لنفسه فلا نصيب لغيره تعالى فيه، مما يعني ان هذا المقام من المقامات السامية المرتبطة بالضممان الإلهي، وهو أعلى مقامات العبودية» (١٨٠)، وثانيها: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ «هنا إشارة إلى علو مقام ورفعة شأن هذا النبي العظيم، لأن هذه اللفظة في الأصل مأخوذة من (النَّبْوَةُ) على وزن (نَعْمَةٍ) وتعني رفعة المقام وعلوه» (١٨١)، وثالثها: قوله: ﴿وَإِنَّا نَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ فكان ذلك أعظم وسام يناله موسى عليه السلام وهو يسمع نداء ربه في حمل رسالته، فإن هذا النداء يعدُّ موهبة عظمى، والتكلم موهبة أخرى، إذ أنهما يكشفان عن حالة من التميز التي أشار إليها القرآن بقوله: ﴿... إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ

القلب»^(١٩٠)، وهي الصفة الثالثة في قوله: ﴿...وَكَاُنُوا لَنَا حَاشِعِينَ﴾.

وبعد أن بَشَّرَتْ الملائكة زكريا ﷺ بمولود اسمه يحيى لم يكتفوا بذلك حتى ذكروا له خمساً من صفات ذلك المولود، ضمنها تعالى بقوله: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾، فالصفة الأولى: قوله: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ...﴾، وكلمة الله هنا تعني المسيح، وهو ما عليه أكثر المفسرين، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾^(١٩١)، بمعنى انه يؤمن بالسيد المسيح ويشد أزره بهذا الإيمان^(١٩٢)، والصفة الثانية: ﴿وَسَيِّدًا﴾، أي إنه سيكون على مستوى رفيع من العلم والعمل ما يسود به الناس اجمع، لأن سيد القوم «بمعنى مالك السواد الأعظم، وهو الشخص الذي يجب طاعته لمالكه»^(١٩٣)، ثم قالت الآية ﴿وَحَصُورًا﴾ وهي الصفة الثالثة من صفاته، أي الذي يضع نفسه موضع المحاصرة، ولا يأتي النساء مع القدرة عليهن^(١٩٤)، في اشارة واضحة إلى أعلى درجات الزهد والعفة النفسية.

ولما اجتمعت تلك الخصائص والصفات الحميدة جاءت النبوة، في وقوله: ﴿وَنَبِيًّا﴾، وهي الصفة الرابعة، «وجاءت هذه الكلمة بصيغة النكرة لدلالة على العظمة»^(١٩٥)، التي هي محل بحثنا، أما الصفة الخامسة والأخيرة من صفاته فهي أنه كان: ﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾، أي إنه من أولاد الصالحين، وهذا يعني أن (من) في

الآية الكريمة للتبعيض، أو يكون المعنى «أنه خير كما يقال في الرجل الخير أنه من الصالحين»^(١٩٦)، و (من) جاءت لبيان الصفة في الآية الكريمة.

ولم يقف القرآن الكريم عند هذا الحد في مدحة يحيى ﷺ واطهار كمالاته الروحية والعلمية التي تشكل نبأاً للآخرين، ومناراً يهتدي به الضالون، إنما أشار إلى ثمان مواهب أخرى منحها الله تعالى إياه، كما في قوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا وَبَرًّا بَوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾^(١٩٧) «ولما كان جامعاً لكل هذه الصفات البارزة، والأوسمة الكبيرة، فإن الله سبحانه قد سلم عليه في ثلاثة مواطن، عند ولادته، وعند موته، وعند حشره، وهو قوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾^(١٩٨)، (١٩٩).

ثامناً: معجزة ولادة عيسى (عليه السلام) ووجهته في الدنيا والآخرة:

تُعَدُّ ولادة المسيح عيسى بن مريم ﷺ من أعجب الآيات التي شهدتها البشرية على الاطلاق، وقد تحدث القرآن الكريم عن تفاصيل ولادته، وعن احوال امه واحوال ولادتها، واشاد بمعجزاته الدالة على عظمة مقامه الشريف، وكان من بين تلك المعجزات معجزة ولادته، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ

يوجه وجاهة هو وجهه، إذا صارت له منزلة رفيعة عند الناس والسلطان»^(٢٠٧)، وهو وصفٌ وصفَ الله تعالى به موسى عليه السلام من قبل، إذ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾^(٢٠٨)، والصفة الرابعة قوله: ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾^(٢٠٩)، ومعنى ذلك «أنه تعالى جعل ذلك كالممدح العظيم للملائكة فألحقه بمثل منزلتهم ودرجتهم بواسطة هذه الصفة»^(٢١٠).

تاسعاً: عظمة النبي الخاتم محمد (ص) في القرآن الكريم:

لما اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون صفوة البشر هم الأنبياء عليهم السلام جعل الله تعالى من تلك الصفوة صفوتها وهم أولو العزم، ومن صفوة الصفوة سيدهم محمد عليه السلام، فجمع فيه كل صفات الجمال والكمال، حتى تحلى بعظيم الشمائل والخِصال، فمن تلك الصفات التي تحلى بها: صفة الرحمة والرفقة، بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢١١)، وهي قمة التعظيم والاطراء أن يوصف عليه السلام بالرحمانية، التي وصف الله تعالى نفسه بها، ثم وُصف بالرحيمية، إذ قال تعالى فيه: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢١٢)، ليشهد تعالى بعظم هذه الرحمة ويجعلها محفوظة في كتابه العظيم إلى يوم الدين.

ومن الجوانب الدالة على وجوب تعظيمه أيضاً أن الله تعالى وصفه بآية واحدة ب ستة أسماء، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَذَاعِياً إِلَى

الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢١٣)، وهنا وصفت هذه الآيات الكريمة عيسى بن مريم عليه السلام بأوصاف تُنبئ عن علو شأنه، وعظمة ذاته، ووجاهته في الدنيا والآخرة، فالوصف الأول: أنه (كلمة من الله)، وهو وصفٌ ورد في القرآن الكريم بموضعين آخرين، في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ﴾^(٢١٤)، وفي قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾^(٢١٥)، أي مصدقاً بعيسى بن مريم عليه السلام^(٢١٦)، ولفظ (الكلمة) ورد كثيراً في القرآن الكريم، وهو كناية عن مخلوقات الله العظيمة، «ولما كان المسيح أحد مخلوقات الله العظيمة فقد سمي بالكلمة»^(٢١٧)، وهي بشارة عظيمة لمريم (عليها السلام)، «ومن تمام هذه البشارة أنه يكلم الناس في المهد فيكون تكليمه آية من آيات الله ورحمة منه بأمه وبالمخلوق وكذلك يكلمهم كهلاً»^(٢١٨)، وهي الصفة الثانية من صفاته الدالة على صدقه وعلى نبوته وعلو شأنه في النشأتين.

كما وصفه أنه كان: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾^(٢١٩)، فقد شرعت الآية بيان الصفة الثالثة والرابعة من صفات عيسى (عليه السلام)، فقالت: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...﴾ ومعنى الوجيه: «ذو الجاه والشرف والقدر، يقال: وجه الرجل،

الله بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا» (٢١٢)، وهذه الأوصاف البارزة وهي الشهادة، والبشارة، والانذار، من أهم ما يتمتع به رسول الله ﷺ، إذ تعدُّ مقدمة لما ورد في الآية التي بعدها، وفي الآية التالية خمسة أوامر مهمة هي في الحقيقة بمثابة الهدف من سمات النبي المذكورة آنفاً، وتشكل أمرين في طاعة الله وتسبيحه وتقديره، وثلاثة أوامر منها في طاعة رسوله والدفاع عنه وتعظيم مقامه،

إذ تقول الآية: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ (٢١٣)، أي تعظموه وتجلوه، وتقوموا بحقوقه، كما كانت له المنة العظيمة في رقابكم (٢١٥)، والتعزير: النصر، والتوقير: التعظيم كما قال تعالى:

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (٢١٦)، (٢١٧)، فقد أوجب تعالى توقيره واعظامه، وألزم المسلمين كافة بذلك.

وفي مطلع سورة النجم كشف الباري جلَّ وعلا عن مدى قربته منه ﷺ، فقال مقسماً على ذلك: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ (٢١٨).

أما في سورة الانشراح فقد رفع الله تعالى له ذكره، بقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، ورفع الذكر: «إعلاؤه عن مستوى ذكر غيره من الناس وقد فعل

إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذِّنُ أَشْهَدُ (٢٢١) ومن عظيم خصائصه تلك التي مثلت في ثناء الباري عليه في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٢٢٢)، وهذا أصدق وصف لشخصية النبي ﷺ العظيمة التي مثلت أعلى درجات الشخصية الإنسانية، فبلوغه هذه المنزلة من الخلق العظيم لم تكن من معطيات مرحلة النبوة لينسجم ذلك مع أهمية المهمة الملقاة على عاتقه، بل إنه كان قبلها مضرب المثل في الخلق العظيم، وصدق اللهجة، والأمانة، والعفاف، بشهادة أعدائه من مشركي قريش، لكن مهما قيل من ثناء ومدح في عظمة أخلاقه، يظل ثناء الباري عليه أصدق ثناء: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (٢٢٣)، وقد أشاد القرآن الكريم في أكثر من موطن وموطن بأخلاق النبي ﷺ حتى كثرت الآيات التي رسمت خصائص صفاته السامية، ومثلت جانب من جوانب شخصيته العظيمة.

نخلص مما تقدم إلى أن الله تعالى عظم فريقاً من أنبيائه بعبارات صريحة لا يشوبها الغموض والخفاء، وجعل بعضاً

من الله سبحانه وتعالى. الخاتمة
تعدُّ مسألة التوقير والتبجيل والاعظام من الممارسات الفطرية التي تسالم الناس على ممارستها، إذ لم ينتظر أي من عقلاء المجتمعات الانسانية صدور الأمر الإلهي لممارسة مظاهر الاعظام والإجلال والاحترام بإزاء كبار الشخصيات، وعليه فقد اعتادت البشرية توقير ذوي العلم الفضل والشرف والمكانة الاجتماعية لما يشكّلون من قيمة اجتماعية وتربوية تقرّبهم من مرحلة التكامل، وقد توصل الباحث من خلال دراسة موضوعات التعظيم الشخصي للأنبياء ﷺ إلى مجموعة من الثمرات والتائج، كان من أبرزها:

١. يجد الباحث بدءاً من التمهيد أنّ مفهوم التعظيم يستعمل للمحسوس وللمعقول، فلا خلاف في إجراء صفة العظمة على العبد وعلى غيره، فالله تعالى وصف نفسه بالعظمة، ووصف عرشه بالعظمة، ووصف عرش بلقيس بالعظمة، بل إنّه وصف الكبش الذي فدى به اسماعيل ﷺ بالعظمة.

٢. تبين للباحث أنّ السجود بعنوانه المطلق لم يكن ممنوعاً؛ لأن المنوع شرعاً أو عقلاً ليس إلا إعطاء الربوبية لغيره تعالى، والسجود على سبيل التبعّد لمن يُسجد له لا لمن أمر الله تعالى بالسجود له تعظيماً لشأنه.

٣. توصل الباحث إلى حقيقة مفادها أنّ السجود ليوسف ﷺ كان بأمر من الله تعالى عن طريق الرؤيا التي أصبحت

من موضوعات التعظيم معياراً لقبول الاعمال أو ردها، كما هي الحال في سجود الملائكة لآدم ﷺ إذ جعل مصير الملائكة مرهوناً بإعظامهم له على نحو خاص، وإلاّ فالنتيجة الطرد من رحمة الله تعالى كما هي حال ابليس، وكذا الحال في تعظيم رسول الله ﷺ، إذ جُعِلَتْ أعمال الأمة رهن الالتزام بمقتضيات الأدب معه، وبخلافه ذهاب العمل وإحباطه.

بل إنّ إهمال أي حق من حقوق الأنبياء ﷺ يعدُّ إهمالاً لمقام الربوبية؛ لأنّ من لوازم تعظيم الله تعالى تعظيم أنبيائه بالنحو الذي أَرَادَهُ تعالى، وهو المعنى المراد من قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ (٢٢٤) «أي ما عظموه بما يليق بساحته من العظمة» (٢٢٥)، إذ انكروا انزال الوحي الذي يلزم منه الحط من قدر الله تعالى، وإخراجه من منزلة الربوبية. (٢٢٦).

وهذا يكشف أنّ التعظيم منهج قرآني، يهدف إلى إبراز الكمالات الروحية والعلمية لدى الأنبياء والأولياء (عليهم السلام)، وذلك للبحث عن الأنموذج الأكمل للإنسانية ممّن وصل الى أعلى مراتب الكمال لنكون قادرين على تشخيص القدوة المثلى، ومن ثمّ تشخيص الطريق الذي أراد الله تعالى للإنسان أن يسلكه، ولو كان ذلك من الشرك لكان كلامه عزّ وجلّ أولى بالتحرز، فما المانع إذن من أن نجري على ما جرى عليه كلامه سبحانه من إعظام تلك الذوات بالعظمة الموهوبة لهم

موجبة لتحقيق السجود في اليقظة من يعقوب عليه السلام وأبنائه.

٤. اتضح للباحث أن الله تعالى جعل مصير الملائكة مرهوناً بإعظامهم لآدم (عليه السلام)، وجعل أعمال الأمة مرهونة بالتزام أدب التخاطب مع النبي عليه السلام.

٥. وجد الباحث أن التركيز على الجانب البشري في شخص رسول الله ﷺ يستبطن اهمال الجوانب المقامية الروحية الأخرى، مثل النبوة والرسالة والاصطفاء التي توجب التشديد على التزام أعلى درجات الأدب في التعامل معه مطلقاً.

٦. توصل الباحث إلى أن مسألة الاطراء والمديح وذكر صفات الجمال والكمال للأنبياء (عليهم السلام)، ومسألة الاعظام منهج قرآني يقوم على اساس تعداد محاسنهم والعمل على اعلاء مقاماتهم والدفاع عنهم، وتحبيهم الى الناس؛ بوصفهم القدوة المثلى، والمثل الأعلى الذي يحتذي به الآخرون، ولا يتقاطع تعظيمهم مع تعظيم الله تعالى؛ ذلك بأن تعظيمهم لا يبدل على تأليههم مطلقاً بل هو جزء ممتم لعبادة الله تعالى لأنه هو من عظم شأنهم ودعا عباده لسلوك هذا المنهج في التعامل مع انبيائه قاطبة.

الهوامش:

١- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣٥٥ / ٤.

٢- ظ: المصدر نفسه، ٣٥٥ / ٤.

٣- هو عسّس بن سلامة ويكنى أبو صفرة، وهو رجل من بني الحارث بن كعب، قال هذا البيت عندما كان جالساً عند قبر، فقال إني قائل بيت شعر ف قيل له يا أبا صفرة أتقول الشعر عند القبر، فقال: إني لقائله: إن تنج منها تنج من ذي عزيمة...، ظ: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ١٥٤ / ٧، ظ: الاصابة في معرفة الصحابة، ابن حجر، ٤ / ٤١٢.

٤- لسان العرب، ابن منظور، ١٢ / ٤١١.

٥- بحار الأنوار، المجلسي، ٩٠ / ٣٥٠.

٦- يوسف، ٥١.

٧- النمل، ٢٣.

٨- لسان العرب، ابن منظور، ١٢ / ٤١١.

٩- الكافي، الكليني، ٨ / ١٣٤.

١٠- المائدة، ٣٣.

١١- يوسف، ٢٨.

١٢- لسان العرب، ابن منظور، ١٢ / ٤١٠.

١٣- هو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكاب بن صعب بن علي بن بكر وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، «المرقش» لقب له لقب به لقوله: كما رقص في ظهر الأديم قلم، وهو عم المرقش الأصغر، والأصغر عم طرفة بن

- العبد.
- ١٤- تاج العروس، الزبيدي، ٣/ ١٣٣.
- ١٥- لسان العرب، ابن منظور، ١٢/ ٤١٠.
- ١٦- الاسنى في شرح الاسماء الحسنى، القرطبي، ١٧٧.
- ١٧- بحار الأنوار، المجلسي، ٥٥/ ٨٨.
- موسوعة العقائد الاسلامية، محمد الريشهري، ٤/ ٣٥٠.
- ١٨- الاسنى في شرح الاسماء الحسنى، القرطبي، ١٧٨.
- ١٩- الزخرف، ٣١.
- ٢٠- النمل، ٣٣.
- ٢١- الأسنى في شرح الاسماء الحسنى، القرطبي، ١٧٨.
- ٢٢- البقرة، ٢٥٥.
- ٢٣- التوبة، ١٢٩.
- ٢٤- النمل، ٢٦.
- ٢٥- الواقعة، ٧٤.
- ٢٦- الصفات، ١٠٧.
- ٢٧- ظ: الأسنى في شرح الاسماء الحسنى، القرطبي، ١٧٨.
- ٢٨- ظ: التوحيد والشرك في القرآن الكريم، جعفر السبحاني، ٣٨.
- ٢٩- اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، ٢٩٣ - ٢٩٤.
- ٣٠- المائدة، ١١٤.
- ٣١- زاد المعاد في هدى خير العباد، ابن القيم، ١/ ١٧٩.
- ٣٢- الزواجر عن اقتراف الكبائر، ١/ ١٢٠.
- ٣٣- صحيح البخاري، البخاري، ١/ ١١١.
- صحيح مسلم، مسلم، ٢/ ٦٦.
- ٣٤- ظ: تناقضات الألباني الواضحات، حسن بن علي السقاف، دار الإمام النووي، عمان - الأردن، ط/ ٤، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ١/ ٢٧.
- ٣٥- الحج، ٣٢.
- ٣٦- روح المعاني، الألوسي، ١٧/ ١٥٢.
- ٣٧- ظ: فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، ١٥٧.
- ٣٨- المصدر نفسه، ١٥٤.
- ٣٩- مفاهيم القرآن الكريم، السبحاني، ١/ ٥٢٢.
- ٤٠- ظ: التوحيد والشرك في القرآن الكريم، جعفر السبحاني، ١٩٤.
- ٤١- الحجة في بيان المحجة، اسماعيل بن محمد الاصبهاني، ١/ ١٣٠.
- ٤٢- التوحيد والشرك في القرآن الكريم، جعفر السبحاني، ١٩٤.
- ٤٣- الأنبياء، ٩٠.
- ٤٤- الفصول المختارة، الشيخ المفيد، ٥٢.
- ٤٥- الحجر، ٧٨.
- ٤٦- التوبة، ١٢٩.
- ٤٧- القلم، ٤.
- ٤٨- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٦/ ٢١٢.
- ٤٩- الانعام، ٩٠.
- ٥٠- يوسف، ١٠٨.
- ٥١- الاسراء، ٦١.

- ٥٢- الحجر، ٣٠.
- ٥٣- الاعراف، ١١.
- ٥٤- بحار الأنوار، المجلسي، ١١/ ١٤٠.
- ٥٥- الرحمن، ٦.
- ٥٦- التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ٤، ٣٥٦، التفسير الكبير، الرازي، ٢١٣/ ٣.
- ٥٧- بحار الأنوار، المجلسي، ١١، ١٤٠، ظ: التبيان، ٤/ ٣٥.
- ٥٨- التفسير الكبير، الرازي، ٢/ ٢١٣.
- ٥٩- الاسراء، ٦١.
- ٦٠- البيان في تفسير القرآن، الخوئي، ٤٧٤.
- ٦١- التفسير الكبير، الرازي، ٢/ ٢١٣.
- ٦٢- في ظلال التوحيد، جعفر السبحاني، ٢٠.
- ٦٣- الاسراء، ٢٤.
- ٦٤- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ١٣٣/ ١.
- ٦٥- البقرة، ٣٤.
- ٦٦- الاسماء الثلاثة، جعفر السبحاني، ٣٨، في ظلال التوحيد، جعفر السبحاني، ٢٠.
- ٦٧- النحل، ٣٦.
- ٦٨- ال عمران، ٦٤.
- ٦٩- الالهيات للإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، محاضرات الشيخ جعفر سبحاني، تقرير: حسن محمد مكي العاملي، ٤٤٤.
- ٧٠- الميزان في تفسير القرآن، ١/ ١٣٣.
- ٧١- تهذيب الأحكام، الطوسي، ١/ ٨٣.
- ٧٢- مفاهيم يجب ان تصحح، محمد بن علوي، ٩٧.
- ٧٣- ظ: البيان في تفسير القرآن، الخوئي، ٤٦٩، ٤٦٨.
- ٧٤- مفاهيم يجب ان تصحح، محمد بن علوي، ٩٧.
- ٧٥- ص، ٨١.
- ٧٦- ص، ٧٩.
- ٧٧- الاعراف، ١٢.
- ٧٨- الاسراء، ٦٢.
- ٧٩- بحار الأنوار، المجلسي، ١١/ ١٤٥.
- ٨٠- يوسف، ١٠٠.
- ٨١- ظ: التفسير الكبير، الرازي، ١٨/ ٢١١.
- ٨٢- التبيان في تفسير القرين، الطوسي، ١٩٨/ ٦.
- ٨٣- يوسف، ٤.
- ٨٤- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ١١/ ٢٤٦.
- ٨٥- المصدر نفسه، ٦/ ١٩٨.
- ٨٦- تفسير ابن كثير، ابن كثير، ٢/ ٥٠٩.
- ٨٧- تفسير القرطبي، القرطبي، ٩/ ٢٦٤.
- ٨٨- الاعراف، ٢٨.
- ٨٩- ظ: التفسير الكبير، الرازي، ١٨/ ٢١٢.
- ٩٠- التفسير الكبير، الرازي، ١٨/ ٢١٣.
- ٩١- يوسف، ١٠٠.
- ٩٢- التفسير الكبير، الرازي، ١٨/ ٢١٣.
- ٩٣- يوسف، ١٠١.
- ٩٤- وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٦/ ٣٨٧.
- ٩٥- يوسف، ١٠٠.
- ٩٦- بحار الأنوار، المجلسي، ١٢/ ٣٣٨.
- ٩٧- التفسير الكبير، الرازي، ١٨/ ٢١٣.

- ٩٨- المصدر نفسه، ١٨ / ٢١٣.
- ٩٩- يوسف، ٤.
- ١٠٠- البحر المحيط، ابن حيان الاندلسي، ٣٤٢ / ٥.
- ١٠١- المائدة، ٥٤.
- ١٠٢- النساء، ٨٠.
- ١٠٣- النساء، ١٥٠، ١٥١.
- ١٠٤- الحجرات، ١.
- ١٠٥- ظ: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٣٠٦ / ١٨.
- ١٠٦- المجموع القيم من كلام ابن القيم، جمع: منصور المكن، ٢٥٩ / ١.
- ١٠٧- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٣٠٧، ١٨.
- ١٠٨- ظ: الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ١٦، ٥١١.
- ١٠٩- من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ٢ / ٦٢.
- ١١٠- الحجرات، ٢.
- ١١١- ظ: روح المعاني، الآلوسي، ١٣٤ / ٢٦.
- ١١٢- ظ: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٣٠٨ / ١٨.
- ١١٣- فتح القدير، الشوكاني، ٥ / ٥٩.
- ١١٤- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٣٠٨، ١٨.
- ١١٥- ال عمران، ١٥٩.
- ١١٦- ظ: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ٧٢، ظ: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ١٣٠ / ٢.
- ١١٧- الحجرات، ٣.
- ١١٨- التفسير الكبير، الرازي، ١١٥ / ٢٨.
- ١١٩- الحج، ٣٢.
- ١٢٠- الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ١٦ / ٥١٥.
- ١٢١- سنن أبي داود، السجستاني، ٤٤٤ / ٢.
- ١٢٢- أي لا تفعل فعلا يتعرض فيه لان يسبك أبوك زجرالك تأديبا على فعلك القبيح.
- ١٢٣- الأذكار النووية، النووي، ٢٩١.
- ١٢٤- النساء، ٥٩.
- ١٢٥- النور، ٦٣.
- ١٢٦- تفسير السمرقندي، ابو الليث السمرقندي، ٥٣٧ / ٢.
- ١٢٧- روح المعاني، الآلوسي، ١٨ / ٢٢٥.
- ١٢٨- البقرة، ٣٥.
- ١٢٩- هود، ٤٦.
- ١٣٠- الصفات، ١٠٤.
- ١٣١- المائدة، ٤١.
- ١٣٢- المائدة، ٦٧.
- ١٣٣- الانفال، ٦٤.
- ١٣٤- الانفال، ٦٥.
- ١٣٥- الانفال، ٧٠.
- ١٣٦- الاحزاب، ٥٦.
- ١٣٧- الحجرات، ٤.
- ١٣٨- ظ: الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ١٦ / ١٦.
- ١٣٩- التوبة، ٤٣.
- ١٤٠- المجادلة، ١٢.

- ١٤١- مجمع البيان، الطبرسي، ٩/ ٤١٩.
- ١٤٢- التفسير الكبير، الرازي، ٢٩/ ٢٧١.
- ١٤٣- المصدر نفسه، ٢٩/ ٢٧١.
- ١٤٤- الشعراء، ١٨٦.
- ١٤٥- المجادلة، ١٣.
- ١٤٦- النساء، ٤٩.
- ١٤٧- ظ: تفسير الميزان، الطباطبائي، ٣/ ٣٧٣، ٣٧٢.
- ١٤٨- الحج، ٣٢.
- ١٤٩- تفسير الميزان، الطباطبائي، ٣/ ٣٧٣.
- ١٥٠- الاسراء، ٣.
- ١٥١- قادتنا كيف نعرفهم، الميلاني، ١/ ٢٦٤.
- ١٥٢- ال عمران، ٣٣.
- ١٥٣- الانعام، ٤٨.
- ١٥٤- النحل، ١٢٠- ١٢٢.
- ١٥٥- البقرة، ٢٥٨.
- ١٥٦- ظ: كتاب العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، ٦/ ١٩٢.
- ١٥٧- ال عمران، ٣٣.
- ١٥٨- الشعراء، ٨٤.
- ١٥٩- الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٢/ ١٠٢.
- ١٦٠- ظ: الرازي، ٢٠/ ١٣٥.
- ١٦١- ظ: التفسير الكبير، الرازي، ٢٠/ ١٣٤- ١٣٦، التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، ٢/ ١٣١.
- ١٦٢- مريم، ٥٤.
- ١٦٣- الصفات، ١٠٢.
- ١٦٤- ظ: تفسير البيضاوي، البيضاوي، ١٤/ ٦٣.
- ٢٢/ ٤، ظ: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ٧/ ١٣٣.
- ١٦٥- ضواء البيان، الشنقيطي، ٣/ ٤٣٧.
- ١٦٦- طه، ١٣٢.
- ١٦٧- البقرة، ٢١٤.
- ١٦٨- التفسير الكبير، الرازي، ٢١/ ٢٣٢.
- ١٦٩- ص، ١٧.
- ١٧٠- الذاريات، ٥٦.
- ١٧١- ص، ٤٤.
- ١٧٢- الزخرف، ٥٩.
- ١٧٣- الفرقان، ١.
- ١٧٤- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ١٧/ ١٨٩.
- ١٧٥- ظ: مجمع البيان، الطبرسي، ٨/ ٣٤٩.
- ١٧٦- الفوائد، ابن القيم، ٤٣.
- ١٧٧- ص، ٤٤.
- ١٧٨- الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ١٤/ ٥٣٢.
- ١٧٩- مريم، ٥١- ٥٣.
- ١٨٠- الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ٩/ ٤٦٨.
- ١٨١- المصدر نفسه، ٩/ ٤٦٧.
- ١٨٢- الاعراف، ١٤٤.
- ١٨٣- التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ٧/ ١٣٣.
- ١٨٤- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ١٤/ ٦٣.
- ١٨٥- طه، ٢٩- ٣٢.
- ١٨٦- ظ: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ١٤/ ٦٣.

- ١٨٧- التفسير الكبير، الرازي، ٢١/ ٢٣١.
- ١٨٨- الأنبياء، ٩٠.
- ١٨٩- التفسير الكبير، الرازي ٢٢/ ٢١٨.
- ١٩٠- المصدر نفسه، ٢٢/ ٢١٨.
- ١٩١- النساء، ١٧١.
- ١٩٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ١٦/ ٤٤٠.
- ١٩٣- مجمع البيان، ٢/ ٢٨٥، الرازي، ٨/ ٣٧.
- ١٩٤- ظ: التفسير الكبير، الرازي، ٢٣/ ٢١٣، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ٢/ ٤٨٦.
- ١٩٥- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ٢/ ٤٨٦.
- ١٩٦- التفسير الكبير، الرازي، ٨/ ٤٠.
- ١٩٧- مريم، ١٣، ١٤.
- ١٩٨- مريم، ١٥.
- ١٩٩- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ٩/ ٤١٨.
- ٢٠٠- ال عمران، ٤٥، ٤٦.
- ٢٠١- النساء، ١٧١.
- ٢٠٢- ((ال عمران، ٣٩.
- ٢٠٣- ((الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ٢/ ٤٨٦.
- ٢٠٤- ((المصدر نفسه، ٢/ ٥٠.
- ٢٠٥- تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ١٣٠.
- ٢٠٦- ال عمران، ٤٥.
- ٢٠٧- التفسير الكبير، الرازي، ٨/ ٥٤.
- ٢٠٨- الاحزاب، ٦٩.
- ٢٠٩- التفسير الكبير، الرازي، ٨/ ٥٤.
- ٢١٠- الأنبياء، ١٠٧.
- ٢١١- التوبة، ١٢٨.
- ٢١٢- الاحزاب، ٤٦.
- ٢١٣- الفتح، ٩.
- ٢١٤- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ١٦/ ٤٤٠.
- ١٥- تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ٧٩٢.
- ٢١٦- نوح، ١٣.
- ٢١٧- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ١٨/ ٣٧٤.
- ٢١٨- النجم، ١- ١٨.
- ٢١٩- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٢٠/ ٣١٥.
- ٢٢٠- التفسير الكبير، الرازي، ٦/ ٣٠٩.
- ٢٢١- مناقب ال ابي طالب، ابن شهر آشوب، ١/ ١١٠.
- ٢٢٢- القلم، ٤.
- ٢٢٣- النساء، ١٢٢.
- ٢٢٤- الانعام، ٩١.
- ٢٢٥- ظ: الميزان، ٧/ ٣٦٨.
- ٢٢٦- المصدر نفسه، ٧/ ٣٦٨.

المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم.

٩. أضواء البيان، الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٠.

١١. الإصابة في تمييز الصحابة، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود/ علي محمد معوض، دار الكتب اللبنانية، بيروت - لبنان، ط/ ١، ١٤١٥هـ.

١٢. البحر المحيط في أصول الفقه، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي بدر الدين (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد محمد تامر، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٣. البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي (ت ١٤١١هـ) منشورات دار العلم للإمام السيد الخوئي، النجف الأشرف، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

١٤. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي، (ت ٢٠٥هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر بيروت، ط/ ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٥. تأريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن المعروف بأبن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ.

١٦. التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي،

١. الالتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، ضبطه وصححه وخرّج آياته: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢. الأذكار النووية، محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (ت ٦٧٦هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٣. الاسماء الثلاثة، جعفر السبحاني، (د ت).

٤. الأسنى في شرح اسماء الله الحسنى وصفاته، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد الانصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: عرفان بن سليم العشا حسونه الدمشقي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط/ ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٥. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض، (د ت).

٦. الالهيات لإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، محاضرات الشيخ جعفر سبحاني، تقرير: حسن محمد مكي.

٧. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، (د ت).

٨. بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- ط/ ١، ١٤٠٩.
١٧. تفسير ابن كثير، ابن كثير (ت) ٥٧٧٤هـ)، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشي، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٨. تفسير البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٢هـ)، (د.ت).
١٩. تفسير السمرقندي، ابو الليث نصر بن محمد بن محمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ) تحقيق: د. محمد مطرجي، (د.ت).
٢٠. تفسير القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، (د.ت).
٢١. التفسير الكبير، (تفسير الرازي)، محمد بن عمر بن الحسن المعروف بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، ط/ ٣، (د.ت).
٢٢. التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط/ ٢، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٢٣. تناقضات الألباني الواضحات، حسن بن علي السقاف، دار الإمام النووي، عمان - الأردن، ط/ ٤، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢٤. التنديد بمن عدّد التوحيد، حسن بن علي السقاف، دار الإمام النووي، عمان - الأردن، ط/ ٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٢٥. تهذيب الأحكام، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط/ ٤، ١٣٦٥ ش.
٢٦. التوحيد والشرك في القرآن الكريم، جعفر السبحاني، (د.ت).
٢٧. تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مكتبة دار السلام، الرياض، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٢٨. الحجة في بيان المحجة، اسماعيل بن محمد الابهاني، تحقيق: محمد بن ربيع هادي عمير المخلي، دار الريعة، الرياض، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
٢٩. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، (د.ت).
٣٠. زاد المعاد في هدى خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، دار الرسالة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٣١. الزواجر عن اقتراف الكبائر، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ)، دار الفكر، ط/ ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٣٢. سنن ابي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط/ ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٣٣. سنن ابي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ط/ ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٣٤. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، ١٤٠١هـ.
٣٥. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن

٤٣. مسلم النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، دار الفكر، بيروت — لبنان، (د ت).
٣٦. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، عالم الكتب، (د ت).
٣٧. فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: الوليد بن عبد الرحمن بن محمد ال فرّيان، دار المؤيد، الرياض، ط/ ٨، ١٤٢٠هـ — ٢٠٠٢م.
٣٨. الفوائد، ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، (د ت).
٣٩. الفصول المختارة، الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: نور الدين جعفر بن الاصبهاني، الشيخ يعقوب الجعفري، الشيخ حسن الأحمد، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت — لبنان، ط/ ٢، ١٤١٤هـ — ١٩٩٣م.
٤٠. في ظلال التوحيد، جعفر السبحاني، ١٤١٢هـ.
٤١. قادتنا كيف نعرفهم، محمد هادي الميلاني (ت ١٣٩٥هـ)، ط/ ٢، ١٤٢٨هـ.
٤٢. الكافي، الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط/ ٥، ١٣٦٣ش.
٤٣. كتاب العين، الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، ط/ ٢، ١٤٠٩هـ.
٤٤. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور، (ت ٧١١هـ)، نسقه وعلق عليه ووضع فهرسه: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت — لبنان، ط/ ٣، ١٤١٣هـ — ١٩٩٣م.
٤٥. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: تعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت — لبنان، ط/ ١، ١٤١٥هـ — ١٩٩٥م.
٤٦. المجموع القيم من كلام ابن القيم/ في الدعوة والتربية وأعمال القلوب، جمع واعداد: منصور بن محمد المكن، دار طيبة، الرياض، ط/ ١، ١٤٢٦هـ — ٢٠٥م.
٤٧. مختار الصحاح، حمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت ٧٢١هـ)، ضبط وتصحيح: احمد شمس الدين، : دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ط/ ١، ١٤١٥هـ — ١٩٩٤م.
٤٨. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.
٤٩. مفاهيم القرآن الكريم، الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت — لبنان، ط/ ١، ١٤٣١هـ — ٢٠١٠م.
٥٠. مفاهيم يجب ان تصحح، محمد بن علوي المالكي الحسني، دار الكتب

- العالمية، بيروت — لبنان، ط/٢، ١٤٣٠هـ — ٢٠٠٩م.
٥١. مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، مطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦ - ١٩٥٦م.
٥٢. من لا يحضره الفقيه، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط/٢، ١٤٠٤هـ.
٥٣. موسوعة العقائد الإسلامية، محمد الريشهري، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث، بيروت — لبنان، ط/١، ١٤٢٥هـ.
٥٤. الميزان في تفسير القرآن، العلامة محمد حسين الطباطبائي، (ت ١٤٠٢هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (د.ت).
٥٥. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، الناشر: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث بقم المشرفة، قم المقدسة، ط/٢، ١٤١٤هـ.

considered important ideological topics, making Albari fate of angels dependent on their bones to Adam, and make the nation's work subject to

the obligation to communicate with The Prophet Muhammad.

موضوعات التعظيم الشخصي للأنبياء (عليهم السلام) في القرآن الكريم / دراسة تفسيرية موضوعية
د. محسن كامل الخزاعي

Topics of personalizing the prophets in the Holy Quran An objective explanatory study

Dr. Mohsen Kamil Al – Khuzaie
College of the sponsor University /
Department of Law

Search summary

The question of reverence, reverence, and bone is one of the innate practices that people accept to practice. No rationality of human societies has waited for the divine command to practice the manifestations of bones, appreciation and respect for dignitaries. Quran, because some of the divine attributes may be performed on other Almighty.

The researcher is seeking to establish the legitimacy of maximizing the non-prophets, describing that the concept of greatness is used for both the sensible and the sensible, so the research dealt with many topics of personal magnifica-

tion of the prophets, such as the topics of arrogance prostration of the prophets as in the prostration of angels to Adam, and prostration of Jacob and his sons to Joseph, And it turns out that prostrating with his absolute title was not forbidden, because the prohibition is a shar'i or a reason that is only to give the godliness to another person. And the subjects of maximization of the commitment of dialogue and dialogue with the Prophet, which was distributed on several topics such as: not to progress by saying and governance, and not raise the voice in his presence, and not call him in his name, and assess charity in the hands of his miracles, and so on. And the themes of praise and praise, and mentioned the qualities of beauty and perfection to the prophets with the aim of diagnosing the ideal example, and the ideal that is followed by others, these topics are

